Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (6), Issue (3): 30 Mar 2022
P: 27 - 64
ISSN: 2522- 3380
مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (6)، العدد (3): 30 مارس 2022م
ص: 27 - 64

The Humanitarian Perspectives in The Novels of Ghazi Al- Gosaibi

Ahmad Ibrahim Al- Ghamdi
College of Arabic Language and Social Studies || Qassim University || KSA

Abstract: The study aims to explore the humanitarian perspectives in the novels of Ghazi bin Abdul Rahman Al- Gosaibi. It analyzes some human aspects such as poverty and its impact on Arab societies, disease and disability and their impact on humans, the dream of every human being to achieve freedom, and the ambition of most people to enjoy peace. The study employs these aspects in the novels of Ghazi Al- Gosaibi.

The study reached a number of findings, most notably: Ghazi Al- Qusaybi was occupied with the human dimension in his writings, including his novels. Poverty, disease and disability were enriching material for his novels. Moreover, he has worked to establish the principle of freedom in Arab societies, and sought in his novels to spread peace in Arab countries. His ambition may have been to achieve peace in the world in general, including his condemnation of the two world wars and the human and material losses it has left. He also condemned the Israeli war against the Palestinians.

The study recommends the following: Expanding the academic researches which study the Saudi novel, including the novels of Ghazi Al- Gosaibi. Also, increasing the literary, critical and social studies in Ghazi Al- Gosaibi's works. The researchers should explore Al- Gosaibi's texts to reach a deep understanding of the Arab situation. They are also recommended to focus on studying the social conditions as portrayed in the Saudi novel, paying special attention to the works of Ghazi Al- Gosaibi due to its philosophical depth.

Keywords: Ghazi Al- Gosaibi novels, poverty, disease and disability, freedom, peace.

المنطلقات الإنسانية في روايات الروائي السعودي غازي القصيبي – دراسة إنشائية

أحمد بن إبراهيم الغامدي
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية || جامعة القصيم || المملكة العربية السعودية

المستخلص: هدفت الدراسة إلى دراسات المنطلقات الإنسانية في روايات غازي بن عبد الرحمن القصيبي، استعانت الدراسة بالمنهج الوصفي التحليلي، وتناولت بالتحليل بعض الجوانب الإنسانية كالفقر وأثره على المجتمعات العربية، والمرض والعجز وأثرها على الإنسان، وحلم كل إنسان أن يحقق الحرية، وطموح أغلب الناس في التمتع بالسلام، كما تناولت الدراسة كيفية توظيف هذه الجوانب في روايات غازي القصيبي.

وخلصت الدراسة إلى عدد من النتائج من أبرزها: شغل البعد الإنساني غازي القصيبي في كتاباته ومن ذلك أعماله الروائية. وقد جعل غازي من الفقر مادة خصبة في رواياته، وصنع القصيبي من المرض والعجز مادة ثرية في أعماله الروائية، وقد شُغِل غازي القصيبي بترسيخ مبدأ الحرية في المجتمعات العربية، وسعى غازي القصيبي في رواياته إلى نشر السلام في البلدان العربية، وقد يكون طموحه أن يتحقق السلام في العالم بشكل عام، ومن ذلك إدانته للحربين العالميتين وما خلفته من خسائر بشرية ومادية، وتناوله قضية السلام في الوطن العربي في ظل وجود إسرائيل في فلسطين المحتلة.

وانتهت الدراسة بالتوصيات التالية: توسع الأبحاث الجامعية في تناول الرواية السعودية ومن ذلك روايات غازي القصيبي، والتوسع في الدراسات الأدبية والنقدية والاجتماعية في أعمال غازي القصيبي، ومحاولة استنطاق نصوص القصيبي الروائية للوصول إلى تحليل

عميق للوضع العربي، وزيادة العناية بالدراسات المجتمعية في الروايات السعودية، والعناية بأعمال غازي القصيبي الروائية لما تتسم به من عمق في الفكر.

الكلمات المفتاحية: روايات غازي القصيبي، الفقر، المرض والعجز، الحرية، السلام.

المقدمة.

انطلق غازي القصيبي في رواياته من منطلقات معرفية متنوعة وعديدة، ومن ذلك "المنطلقات الإنسانية"، وفي هذه الورقة يناقش البحث ما هي الجوانب الإنسانية التي عالجها غازي القصيبي في رواياته ويدرس كيفية توظيفها. وقد عالج غازي القصيبي العديد من القضايا الإنسانية كالفقر والمرض وتقدّم السن... وغيرها من القضايا التي ستُعرض في المبحث التالي.

ويلح على البحث مفهوم الإنسانية قبل البدء في عرض أبرز القضايا الإنسانية التي انطلق منها غازي القصيبي في رواياته. فيذهب الكثير من الدارسين أن الإنسانية مشتقة من الإنسان الذي عرفه بعضهم بأنه "الكائن الحي المفكر" (مجمع اللغة العربية، 1960م، 29) و"يستوي فيه المذكر والمؤنث" (دار المشرق، 2001م، 47). وتكون الإنسانية بذلك "خلاف البهيمية... وهي الصفات التي تميز الإنسان، أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات" (مجمع اللغة العربية، 1960م، 30)، و"إنساني نسبة إلى إنسان: الذي يشير في الأعمال إلى الخير والمحبة والشفقة...، وما يسعى إلى خير البشر، ما فيه احترام الإنسان وتقديره ومحبته" (دار المشرق، 2001م، 47)، وقد يتوسع بعضهم في استخدام الكلمة فيرى أنها: "دراسة ذات علاقة بنشاط الإنسان الفكري، وتشمل اللغات والفلسفات والفنون والأديان ونحوها" (دار المشرق، 2001م، 47).

وقد يجد البحث أن الإنسانية تمثل "نزعة أصيلة في الإنسان ونظرة شاملة نحو البشر تطمح إلى السمو بالنفس نحو المثل العليا وتطهيرها من الشوائب الأنانية والنفعية، وتنزهها عن التعصب والتحزب. وهي عاطفة شاملة تضم البشر وتعتبرهم إخوة وتشدهم إلى أهداف سامية مشتركة، وكأنهم أسرة كبرى تذوب بينها الفروق العارضة والصفات المميزة، ولا يقام معها كبير اعتبار لعرق أو لجنس أو لدين، ولا مفاضلة بين أسود وأبيض، أو شرقي وغربي، أو مسلم ومسيحي، أو عربي وهندي" (دقاق، 1963م، 155)

ومما سبق يُفهم أن الإنسانية ذات علاقة وثيقة بالكائن الحي المفكر، وقد تشير إلى الأعمال ذات الطابع الخيري، وقد تطلق على احترام وتقدير الإنسان ومحبته مهما كان عرقه أو جنسه أو دينه، وبها تذوب جميع الفوارق بين الناس. ولعل هذا ما أراده البحث فهو سيبحث محاولة غازي القصيبي التعامل مع الإنسان كإنسان، وكيف حاول أن يثبت هذه القيمة للبشر وإن كان في بعض الأحيان يعرضها بطريقة ساخرة.

مشكلة الدراسة:

تعد منطلقات شخص مثل غازي القصيبي من الأشياء المهمة التي تكشف بعض أسرار إبداعه، ومن هذا المنطلق يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

1- ما المنطلقات الإنسانية التي انطلق منها غازي القصيبي في إبداعه الروائي؟
2- وكيف وظف غازي القصيبي تلك المنطلقات في أعماله الروائية؟

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة:

1- أثر الجوانب الإنسانية في غازي القصيبي.

2- تأثير الجوانب الإنسانية في أعمال غازي القصيبي الروائية.

أهمية الدراسة:

تنبع الأهمية العلمية للدراسة في كونها لم تُبْحث من قبل- فيما أحسب- سوى إشارات متفرقة في كُتَيّب حمد القاضي "قراءة في جوانب الراحل د. غازي القصيبي الإنسانية" التي ستعرض له الدراسة لاحقاً، وهو كُتيب عام يعرض الجوانب الإنسانية في شخصية غازي بشكل عام وليس متخصص في رواياته. ومعرفة منطلقات الروائي يساعد على فهم نصوصه الروائية.

منهجية الدراسة.

أ- منهجية التحليل: دراسة وصفية تحليلية لروايات غازي القصيبي.

ب- مصادر البيانات: روايات غازي القصيبي.

ج- حدود الدراسة: ستتناول الدراسة روايات غازي القصيبي دون أعماله الأخرى كدواوينه الشعرية وكتبه السيرية.

هيكلة الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى خمسة مباحث، يتناول المبحث الأول: الإطار النظري والدراسات السابقة، ويناقش المبحث الثاني: الفقر وأثره على المجتمعات العربية، أما المبحث الثالث فيناقش: المرض والعجز وأثرها على الإنسان، وفي المبحث الرابع ستناقش الدراسة: حلم كل إنسان أن يحقق الحرية، وفي المبحث الخامس سوف تعرض الدراسة: طموح أغلب الناس في التمتع بالسلام.

المبحث الأول- الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً- الإطار النظري للبحث:

حفلت روايات غازي القصيبي بالكثير من الجوانب الإنسانية، ومعالجتها بطرق مختلفة ليحذر المجتمعات الإنسانية من خطورة التهاون فيها، ويناقش تأثيرها على الفرد وعلى المجتمع، وفي هذه الدراسة تلّمس لبعض الجوانب الإنسانية في روايات غازي القصيبي.

ثانياً- الدراسات السابقة

1- دراسة القاضي، حمد (2014) ويقع هذا الكُتَيّب في (77) صفحة من القطع المتوسط ناقش فيها المؤلف الجوانب الإنسانية في حياة غازي القصيبي الإنسانية، إذ قدم العديد من المواقف التي تكشف عن إنسانية غازي القصيبي- رحمه الله- ومنها سعيه لتأسيس جمعية الأطفال المعاقين، ويلاحظ القارئ لهذا الكُتَيّب أنه ليس متخصصاً في السرد.

المبحث الثاني: الفقر.

والفقر أصدق من خليل وده *** متغير متلونٌ متذبذبُ*

* بيت من إحدى قصائد غازي "رسالة المتنبي الأخيرة".

من القضايا الإنسانية التي عالجها غازي القصيبي في رواياته قضية الفقر المنتشر في البلدان ويعرضه في رواياته بأصوات مختلفة فبعض الأصوات عانت من الفقر، وبعضها جاوزه إلى توسط الحال، بل إن منهم من جاوزه حتى أصبح باذخ الغنى. والفقر كما يراه غازي: "هو المشكلة الكبرى التي تهدد مستقبل البشرية" (القصيبي، 2000م، 147).

ولعل من المناسب للبحث- في البداية- أن يستعرض صراخ غازي القصيبي على لسان إحدى شخصياته: "ماذا يتبقى للإنسانية إذا بيعت هذه الإدارة؟ [دنسكو] هنا نبض الإنسانية. هنا روحها. هنا أملها. هل يمكن للإنسانية أن تواجه أعاصير الحروب والعولمة والفقر المدقع والأيدز [كذا]* إذا كانت تعرض خط دفاعها الأول والأخير للبيع؟" (القصيبي، 2000م، 41). وهذا يكشف مدى نهوض غازي بمعالجة بعض القضايا العالمية الهامة والتي يخاف منها كل الشعوب كالفقر والحروب والأمراض المنتشرة، وهو هنا يحمل هم الإنسانية ويحارب أن تكون إدارة هذه المنظمة لمن يدفع أكثر، ويرى أن هذه المنظمة لابد أن تكون تحت إدارة من يرعى الجانب الإنساني فقط ولا يُنظر للاعتبارات الأخرى. وهو بذلك يرمز إلى كل المنظمات العالمية.

ويجد البحث في شقة الحرية غازي القصيبي وهو يصف أحد شخصياته البارزة بأنه "من عائلة فقيرة عانت، في البداية، الكثير من شظف العيش" (القصيبي غ.، 1994م، 35) وهذا ما جعل (هذه الشخصية/ يعقوب) يولد "بطاقات لا تنضب من الغضب. وكان غضبه يتخذ أشكالاً مختلفة تنتهي كلها بالثورة العارمة والرغبة في نسف المجتمع بأكمله" (القصيبي غ.، 1994م، 35) وجعلته "لا يمل اعتناق القضايا، ولا يمل تغييرها" (القصيبي غ.، 1994م، 35) وهذه الظروف هي التي ساعدته في صنع هدف ثوري، وكان دائماً يؤمن باقتلاع المجتمع القديم وإقامة مجتمع جديد يختلف باختلاف النظرية التي تحتل ذهنه. (القصيبي غ.، 1994م، 35) وكأن غازي يريد أن يوصل للقارئ في هذا الوصف أن من يعيش في بيئات فقيرة قد يكون معرضاً أكثر من غيره للصراعات الفكرية، وربما كان ثائراً على مجتمعه وعلى تقاليده كما رأينا يعقوب وحنقه من المجتمع القديم وطموحه في تكوين مجتمع جديد يؤمن بالنظريات الفلسفية الجديدة ويقف بجانب الفقراء وفي نصرة المسحوقين.

وفي المقابل نجد أن غازي استطاع أن يصف حال بعض شخصياته الذين عاشوا في ظروف مترفة كصديقه قاسم الذي ينتمي لأسرة من "فئة ((البرجوازيين الجدد)). كان أبوه في أول شبابه عاملاً بسيطاً في شرطة البترول ((بابكو))، ولكنه كان عصامياً، وقد انتهى به المطاف مليونيرا" (القصيبي غ.، 1994م، 35) وكأن غازي عندما وصف قاسم ووصف عائلته ووالده المكافح الذي تغيرت أحواله وانتقل من الفقر إلى الغنى، يصف بعض الخليجيين الذين تبدلت أحوالهم بعد ظهور البترول، ووسم قاسم أنه يفكر دائماً في تنمية ماله ومال والده حتى لا يعودوا إلى الفقر مرة أخرى، ومن ذلك دخوله في كلية التجارة ليتسلح بأهم النظريات التجارية التي تحمي ثروتهم من الضياع.

وهؤلاء الشباب الخليجيون عندما ذهبوا للدراسة في مصر وقفوا على فقر المجتمع المصري الذي يفوق الفقر في مجتمعات الخليج العربي فزملاء فؤاد مثلاً كانوا يتخيلون أن لديه الكثير من المجوهرات والزمرد والألماس، فيحاول فؤاد أن يشرح لهم أن المحل "يدر من الدخل ما يكفي العائلة ولكنه لا يأتي بالملايين، ولا بعشرات الألوف" (القصيبي غ.، 1994م، 48) وفي هذه النظرة الغريبة من زملاء فؤاد ما يدل على فقر المجتمع المصري واعتقادهم أن الشعوب في دول الخليج يعيشون حياة باذخة ويتمتعون بالأموال الكبيرة ويملكون الكثير من المجوهرات الثمينة.

ويمثل وقوف هؤلاء المبتعثين على الفقر المنتشر في المجتمع المصري ما حصل لفؤاد مع "توطد علاقته بعبد الرؤوف، بدأ فؤاد يلمس أبعاد معضلة إنسانية لم يكن قد فكّر فيها جديّاً من قبل: الفقر. في البحرين، كان كل رفاقه

* المفترض أن تكتب بكسر الهمزة؛ وربما كان هذا خطأ مطبعي، وقد يكون نطقها باللغة الإنجليزية (Aids) أحدث هذا اللبس.

من الطبقة المتوسطة التي ينتمي إليها، ولم تكن هناك فروق تذكر بينهم" (القصيبي غ.، 1994م، 57) ويكشف الراوي أن فؤاد لم يتساءل في يوم ما عن حياة الأغنياء أو حياة الفقراء واكتشف فؤاد أن مصروف عبد الرؤوف في الشهر أربع جنيهات فقط، ولا يملك سوى بدلة واحدة فقط "وتبين لفؤاد أن معظم الطلاب في فصله لا يملكون سوى بدلتين" (القصيبي غ.، 1994م، 58) وأحس فؤاد بالمشكلة فحرص على ألا يرتدي سوى بدلتين فقط مراعاة لمشاعر الآخرين. وهذا ما جعل فؤاد يستشعر النعم التي تحيط به من كل مكان، ويتفكر في لباسه وطعامه ومعيشته.

ومع توطد العلاقة بين فؤاد وعبد الرؤوف وأصبحا يعرضان أعمالهما الأدبية على بعض أراد عبد الرؤوف أن يعبّر عن معاناة الفقراء بقصته التي كتبها عن "عبد الباقي" وكيف أنه لا يملك ساعة يدوية لفقره، وكيف أن راتبه يتوزع على مصاريف البيت والإيجار ولا يبقى له شيء سوى الديون. وفي نقد فؤاد للقصة قبل أن يلاحظ أن عبد الرؤوف لا يملك ساعة وهو يعتبرها من الأشياء الزهيدة في البحرين، ثم قراره بعد ذلك أن يهدي عبد الرؤوف ساعته الاحتياطية التي أحضرها معه من البحرين؛ لكن عبد الرؤوف فاجأه بسؤاله: هل ينوي أن يهدي كل الناس الذين لا يملكون ساعات؟! وفي هذا إشارة أن مشكلة الفقر لن تحل بإهداء ساعة أو غيرها ولكنه تحتاج إلى العديد من الجهود.

ويعرض غازي لمشكلة الفقر ويرى أنها قد تكون سبباً في الانحلال الأخلاقي مثلما صوّر لنا انحراف "ريري/عنايات"[(1)] التي أشارت أنها لم تكمل دراستها بسبب الظروف؛ حيث مات والدهم وترك والدتهم وثلاث بنات وطفل صغير، وهي التي تعول عائلتها لكونها هي الكبيرة ووصفت أن معاش والدها "ثمانية جنيه"* وهي ضعيفة جداً، فبدأت تعمل في مجال الدعارة وهي صغيرة في السن (في السادسة عشر)، وكشفت ريري أنها مع العمل في هذا المجال القذر لا تعطي والدتها في الشهر سوى عشرين جنيه أو ثلاثين بالكثير، كما كشفت أنها تُسْتَغَل من "المدام" التي تشغلها في هذا المجال حيث تأخذ هي ثلثي المبلغ وتعطيها ثلث المبلغ فقط، وهي تعرف أنها تستغلها لكنها لا تستطيع تركها لأنها لن تجد عملاً يسد حاجاتها وحاجات عائلتها غير هذا العمل.[(2)]

وقد يكون الفقر سبباً في بيع المخدرات والمسكرات ويدل على ذلك أن يعقوب وجد الحشيش يباع في البوفيهات بمبالغ زهيدة، بل ويباع حتى في بوفيه الآداب وبوفيه الحقوق وبوفيه التجارة ويقول: "اسأل أي جرسون إذا كانت لديه ((حتة)) وسوف يأتي بها على الفور على الفور مقابل ربع جنيه" (القصيبي غ.، 1994م، 166- 167). فلولا الفقر والحاجة لما جازف هؤلاء البائعين ببيع هذه الأشياء بثمن بخس.

وقد حاول غازي أن يُبيّن أن الفقر والحاجة قد تكون داعية للطمع بما في أيدي الناس، ويظهر ذلك من خلال الحوار الذي دار بين فؤاد الطارف وديدي عندما ناقشته في شأن سعاد- الفتاة السورية التي تدرس معه في الكلية- وإشارتها إلى الاتحاد الذي حصل بين مصر وسوريا وقولها: "مش الريس يعمل وحدة مع السعودية. ويجيب لنا شوية بترول. بدل الشوام الجعانين دول" (القصيبي غ.، 1994م، 122)* وفي هذا يظهر ما سببه الفقر في نفوس بعض فقراء مصر من الطمع في دول الخليج وفي السعودية بشكل خاص.

---

(1) ستكشف الرواية فيما بعد أن معدنها طيب لولا الحاجة لما امتهنت هذه المهنة. ينظر: شقة الحرية: 276 – 278، وص ص 307 – 308.

* تعمّد غازي أن يذكرها باللهجة المصرية المحلية ليُعْطِي الحكاية مصداقية أكثر.

(2) ينظر: شقة الحرية: 116 – 117.

* ويظهر فيها اللهجة المصرية، وقد استعملها غازي عمداً ليعطي للرواية نوعاً من الواقعية؛ فالشخصية المتحدثة مصرية ومن العوام فليس من المناسب فيما يظهر لي أن تتحدث بالفصحى.

ومن مظاهر الطمع الذي أحدثه الفقر استغلال الأسطى زكي مصاريف شقة الحرية وقد كشف سكّان الشقة هذا الاستغلال عندما تولى عبد الكريم إدارة الشقة "ثم تبين أن الشهر الذي يتولى فيه عبد الكريم الإدارة يشهد انخفاضاً ملحوظاً في المصاريف (...) مجموع النفقات الثابتة والمتغيرة في حدود الثمانين جنيهاً في الشهر. إلا أن المعدل ينخفض بما يقارب الثلث عندما يتولى عبد الكريم الإدارة. كان السر بسيطاً: عبد الكريم هو الوحيد الذي يملك الجلد على مراجعة حسابات الأسطى زكي" (القصيبي غ.، 1994م، 173) فما الذي جعل "الأسطى" يطمع في مبالغ بسيطة من طلاب وافدين من البحرين غير الفقر؟!

ويصور غازي الفقر بأنه يمنع الناس حتى من التلذذ بالحرية وبالتالي لابد أن يكون الفقير تابعاً ليس له من الحرية أي شيء، وينقل ذلك على لسان يعقوب الذي يتساءل عن الحرية فيقول: "يتحدثون عن حرية الكلام. الجائع لا يريدها؛ يريد حرية الحصول على الطعام. ويتحدثون عن حرية الفكر. العاري لا يطلبها؛ يطلب حرية الحصول على كساء. ويتحدثون عن حرية المعتقد. المريض لا يفتقدها؛ ولكنه يفتقد حرية الحصول على الدواء" (القصيبي غ.، 1994م، 196) وفي هذا المقطع يكشف الراوي أن الفقير لا يريد الحرية ما لم يتمتع بحقه في أن يعيش حياة كريمة تمكّنه من الحصول على الطعام واللباس والدواء.

وقد تتنوع معاناة الفقراء كما يبيّن بعضها غازي على لسان فؤاد الطارف الذي يكشف معاناة بعض الفقراء في طلب العيش، وما يمر على الغواصين من الشقاء والبؤس في كتابته لقصة راشد الذي كان يعيش بين فكي الفقر والحالة الصحية غير المستقرة؛ لكنه يجبر نفسه على العمل من أجل إسعاد ابنته ذات السبع سنين. وكيف مات على ظهر السفينة ولم يحقق ما يسعى إليه من إسعاد ابنته. وتحليل فؤاد أنه يعيش معاناة الغواصين لأن والده كان في يوم من الأيام يمارس مهنة الغوص؛ لكنه تجاوز هذه المعاناة عندما تعلم وترقى في مهنته حتى أصبح يبيع المجوهرات.[1] وكأن الراوي أراد أن يلمح أن من أسباب دفع الفقر التعلم فوالد فؤاد كان سيعيش معاناة راشد طيلة حياته لولا أنه تعلم وطوّر نفسه.

وقد وفق غازي القصيبي في تصوير بعض جوانب الفقر والحاجة في بعض البلدان العربية عندما استعان بكتابة عبد الرؤوف قصة الطفل الذي "ينكمش داخل ثيابه التي أصبحت، لكثرة ثقوبها، كالمصفاة. يرتجف رغم المصفاة الأخرى، البطانية المهترأة [كذا]*" (القصيبي غ.، 1994م، 213) ففي هذا الوصف يقف عبد الرؤوف على سوء أحوال هذه العائلة المادية وكيف أنهم يعيشون في فقر مدقع، وهذا الطفل على رغم صغر سنه الذي لم يجاوز الثالثة عشر مسؤولاً عن إعالة أبيه وأخيه، ويقوم هذا الطفل بجولاته اليومية لجمع أعقاب السجائر ليعيد صناعة السجائر بهذه الأعقاب، وهو يخاطر بحياته كل يوم ليجمع قوت يومه وقوت أبيه وأخيه.[1]

ويُلمِحُ غازي أن الغنى بعد الفقر قد يؤثر على اتزان وتصرفات الشخص ويظهر ذلك في تصرفات الشاعرة "ليلى الخزيني" التي تزوجت رجلاً كبيراً في السن من أجل ماله فقط، ثم تركها وترك لها الكثير من المال بعد سنة من الزواج، وكيف توجهت للتحرر من كل القيود حتى أنها تعتبر نفسها زعيمة التحرر النسائي في الكويت، وقد شاركت في حادثة حرق العباءات الشهيرة على الرغم من صغر سنها، وهي تعيش التناقض بأنواعه،[2] حتى وصفها فؤاد أنها

(1) ينظر: شقة الحرية: 241 – 244.

* المفترض أن تكتب الهمزة على نبرة لأن الراء مكسورة والهمزة مفتوحة، وفي هذه الحالة تكتب الهمزة على الهيئة الياء.

(1) ينظر: شقة الحرية: 213 – 214.

(2) ينظر: شقة الحرية: 399 – 400.

تستعصي على الفهم "عندي حتى الآن ثلاثة [كذا]* انطباعات. الأول، الشاعرة الرقيقة الرومانسية. الثاني، الثورية، زعيمة التحرر النسائي، هدى شعراوي الكويت. الثالث، الفتاة التي تتزوج رجلاً في سن أبيها، وتصبح غنية بسببه" (القصيبي غ.، 1994م، 375). وقد عقد فؤاد المقارنة بين هذه الفتاة التي جاءتها الثروة فجأة وبين بعض أصحابه الذين يعيشون الشهر بأكمله على أربع جنيهات، وحاله هو الذي يعتبر نفسه من أغنى الأغنياء حيث يصرف له والده خمس وعشرون جنيهاً. ويقول: "كنت أحس بتأنيب الضمير. كيف يستريح الغني وهو محاط ببحر من الفقراء؟" (القصيبي غ.، 1994م، 375 – 376) وفي مقارنة فؤاد حاله وحال بعض أصحابه بحال هذه الفتاة الباذخة يبين التفاوت المجتمعي وكيف أن أصحاب الأموال في كثير من الأحيان لا يفكرون في الفقراء ومتوسطي الحال.

وربما دار في عقول بعض الناس أن الاشتراكية هي الحل لمشكلة الفقر لكن غازي عبّر عن ذلك عبر حوار شخصياته وكشف أن الاشتراكية ليست الحل لهذه المشكلة فعندما سأل فؤاد عبد الرؤوف بأي اشتراكية يؤمن أجابه "لا أؤمن بالاشتراكية لأني أؤمن بالإسلام" (القصيبي غ.، 1994م، 79) وأشار عبد الرؤوف أن "الإسلام منهج متكامل. رؤية شاملة تنتظم[كذا]*كل شيء. شؤون الاقتصاد وشؤون السياسية والسلوك الشخصي والعبادات..." (القصيبي غ.، 1994م، 79) وفي هذا الصوت يكشف غازي عن وجهة نظره هو فيرى أن الإسلام الصحيح ممكن أن يحل مشاكل كثيرة منها الفقر ويكون ذلك بالزكاة والصدقة والبذل والتي تضمن التكافل الاجتماعي وإغناء الفقير عن السؤال ورفع حاجته من الطعام والشراب واللباس.. وغيرها.

وقد أشار غازي القصيبي إلى بعض الأسباب التي يرى أنها ترفع الفقر حيث يرى أن العمل ليس عيباً ويقول على لسان البروفسور في رواية العصفورية: "كنا نعمل عند الحاجة ولا نشعر بأي حرج. نعمل بالساعة، في المكتبة، أو مطعم الجامعة، أو محطة البترول" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 56) وهو هنا ينقض الثقافة التي انتشرت عند عدد من الشباب (ثقافة العيب) التي جعلت الكثير من الأسر تعيش في فقر وعوز؛ لأنه معيب بأبنائهم أن يعملوا في القطاعات الخدمية. وهذه الثقافة بدأت تضمحل في الآونة الأخيرة.

وقد ربط القصيبي بين الفقر والمرض وجعل الفقر في بعض الأحيان سبباً في بعض الأمراض مثلما نجد في شخصية الديكتاتور همام بوسنين الواردة في رواية "سعادة السفير" حيث كان الفقر سبباً في ظهور "همام بوسنين" بذلك الشكل المرضي وحبه للقتل والاستبداد والسيطرة.[(3)] وسوف يعرض البحث في المبحث التالي لتفصيل شخصية همام المرضيّة.

المبحث الثالث: المرض والعجز.

شُغِل القصيبي كثيراً بتقدم العمر إذ يَظهَرُ في أغلب رواياته هوسه بتقدم العمر ومن ذلك ما عرضه في رواية "العصفورية" ورواية "حكاية حب" ورواية "رجل جاء.. وذهب" ورواية "سلمى" ورواية "ألزهايمر" ولعل السبب في ذلك أنه بدأ في كتابة الروايات بعدما تقدم به العمر فقد بدأ كتابة الرواية وعمره متجاوزاً سن الخمسين حيث كانت أولى رواياته "شقة الحرية" صادرة عام 1994م.

وقد تنوع عرض القصيبي للتقدم في العمر فتارة يذكر المسن مثقفاً مسكوناً بالقضايا الثقافية والسياسية مثلما يجد البحث في رواية "العصفورية" التي تتقاطع مع قصة "مي زيادة" عندما دخلت مصحة العصفورية تحت

---

* الأصل أن يقول ثلاث لأن الثلاثة تخالف في التذكير والتأنيث المعدود.

* قد يقصد تنظم... لأنه يتسق مع السياق.

(3) ينظر: سعادة السفير: غازي بن عبد الرحمن القصيبي، دار الساقي للدراسات والنشر، الطبعة السادسة، 2013م، (142- 143).

ظروف اجتماعية وعائلية، ومكثت في هذه العصفورية فترة من الزمن بعدما كانت من المبرزين في الأدب العربي وكان يحضر مجالسها كبار الأدباء في مصر، وكانت مصدر إلهام العديد من أدباء عصرها.[1] وقد يكون الرابط الأكبر بين رواية القصيبي وقصة مي زيادة هي الغربة الثقافية التي عاشتها مي حيث عاشت في زمن غير زمانها وكذلك غازي يحاول أن ينقل للقارئ معاناة المثقف الذي يعيش في غير زمنه.

عرضت رواية العصفورية حكاية رجل مثقف حصل على أعلى الرتب العلمية "البروفسور"[2] يغضب إذا أُطلِق عليه صفة المريض[3]، وينتقد بعض الممارسات النفسية التي يقوم بها بعض الممارسين للطب النفسي وبعض المدارس النفسية كمدرسة فرويد[4]، ويعتب على تعاطي الناس لقضية مي زيادة ويرى أنها ليست مريضة نفسية [5]كما يرى الكثير من الناس[6]، ويحمل في قلبه كراهية جميع البشر عدا الأمريكان[7]، مر بتجارب عاطفية وسياسية صادمة[8] جعلته يعترف في آخر المطاف بفشله ويغادر كوكب الأرض.[9]

ويظهر في رواية العصفورية تستر غازي القصيبي بلباس المريض النفسي لينقل ويحلل ويعلّق على بعض الأحداث السياسية والاجتماعية والتاريخية دون أي ملامة أو عتاب، وهذا واضح عندما استنكر أن يكون هناك حرب أهلية في لبنان "حرب أهلية في لبنان؟! مش معقول! الحرب الأهلية تحتاج إلى كثافة سكانية. لو قامت حرب أهلية لمات الجميع. كلكم مليون إلا شوي" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 16).

ويظهر تستر القصيبي بلباس البروفسور الذي يقطن مصحة نفسية عندما تعرض لسياسة الدول العربية مثل سياسة أنور السادات وقال: "تذكرني بصديقي أنور السادات، الله يرحمه! كان كل خواجة صديقه، بل عزيزه. لم يقابل السادات في حياته خواجة لم يحبه... نيكسون كان صديقه. وفورد وكارتر. وطبعاً العزيز الأكبر هنري. ومناحيم بيجن" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 27).

ويشخّص غازي واقع المجتمع العربي على لسان بروفسوره حينما يقول: "والكآبة النفسية ليست سبباً للانتحار. 99,9% من شعوب عربستان، أو شعبها، مصابون بالكآبة النفسية ومع ذلك لا ينتحرون. هل تعرف عربستانياً لا يعاني من الكآبة النفسية؟... أغنياء عربستان مصابون بالكآبة وسبب كآبتهم فقراء عربستان. والفقراء

---

(1) ينظر: العصفورية: 21. حيث أشار القصيبي إلى تعلق الأدباء بـ"مي" وفي إشارته إلى محبة أدباء مصر لـ"مي" فيقول: "أدباء مصر وشعراؤها كافة أحبوا مي. بدون استثناء (...) حتى القاضي العجوز الوقور، إسماعيل صبري، أصابه الفيروس. لم يكن يعيش إلا من أجل يوم الثلاثاء، يوم صالونها الأدبي (...) والعقاد كان يزعم أنه الوحيد، تصور الوحيد، الذي أحبته مي".

(2) ينظر: العصفورية: 107 و116.

(3) ينظر: العصفورية: 11.

(4) ينظر: العصفورية: 16.

(5) ينظر: العصفورية: 81.

(6) ينظر: العصفورية: 21 – 26.

(7) ينظر: العصفورية: 16- 17.

(8) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: إصابته بالانهيار العصبي (ص: 72- 75)، وتعامله مع سوزي حين كان سبباً في وفاته (ص: 75)، وضرب الطبيب المعالج (ص: 75)، وتعرضه للصعق الكهربائي من بعض الأطباء النفسيين (ص: 89)، وقصته مع عفراء الشمالي (ص: 212)، ووصفه ما دار بينه وبين صلاح الدين المنصور وخيانة المنصور للقضية التي كانا يعملان من أجلها بعد أن أخذ من البروفسور ما يريد (ص: 202- 203)، ثم قصته مع برهان سرور ودعم البروفسور له بالمال وعدم تحقيق الأهداف التي رسماها مع بعضهما (ص: 235 – 236، وص: 269)، ثم تعليق البروفسور آماله بضياء المهتدي ودعمه له حتى وصل للسلطة ثم لم يحقق ما يصبوا إليه البروفسور (ص: 293- 294)...وغيرها من تجارب فاشلة.

(9) ينظر: العصفورية: (299 – 301).

عربستان مصابون بالكآبة وسبب كآبتهم أغنياء عربستان. وقس على ذلك. سبب كآبة الحكام المحكومون وسبب كآبة المحكومين الحكّام. وسبب كآبة المرضى الأطباء وسبب كآبة الأطباء المرضى" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 31).

ويحلم غازي القصيبي على لسان البروفسور بوحدة الأمة العربية "كنا، جميعاً نحلم بولايات عربية متحدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية. نريد أن نسافر عبر الأمة العربية فلا يصدنا جمرك ولا يعترض طريقنا مخفر. كانت أحلامنا كبيرة، يا دكتور، كنا نقول: ((فعلها الأمريكان، فلماذا لا نفعلها نحن؟)). يسافر الأمريكي من لوس أنجلوس إلى نيويورك فلا يستوقفه عسكري واحد. لا توجد على الطريق نقطة حدود واحدة. لا توجد سوى اللافتات المرحبّة والمودّعة" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 53) لكنه يصطدم بالواقع العربي المتنافر حتى على مستوى اللغة "أما تستحون؟! لكل أمة لغة واحدة ولكم 77 لغة..." (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 52).

ويحاول القصيبي أن ينقل معاناة المرضى في الوطن العربي فيقارن بين المصحات العربية والغربية فوضع "العصفورية" وهي إحدى المصحات العربية مقابل "مصحة مونتري" ويقول: "أنت تعرف القانون في أمريكا. لا تستطيع أي مصحة نفسية أن تبقي أحداً فيها إلا بإرادته الحرّة أو بقرار من المحكمة" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 81) وهو في الوقت ذاته ينقد البنية الاجتماعية للمجتمع الغربي وما فيه من تفكك أسري، ويرى أن السبب في سن هذا القانون هو عدم تخلص الناس من الأقارب غير المرغوب فيهم بتهمة الجنون والتصرف في أمالكهم مثلما حدث مع "مي زيادة" في إدخالها العصفورية.[1]

ولم يقتصر القصيبي* على المقارنة بين المصحات العربية والغربية بل تجاوز ذلك إلى نقد أهم البُنى الثقافية في المجتمع الأمريكي حيث سلط الأضواء على التعليم وصوّره بصورة قبيحة جداً عندما ذكر أن مديرة مدرسة ثانوية حوكمت بتهمة ممارسة الجنس مع 40 طالباً من طلابها، واستعانت بمحامٍ ذلق اللسان أقنع المحلفين أنها مريضة نفسياً فأرسلت إلى المصحة النفسية بدلاً من إرسالها إلى السجن[2]، ويصفها أنها "قضت 20 سنة في التدريس وكانت كل سنة تفسد، أعني تدرب، ما لا يقل عن 40 طالباً..." ويشير إلى أن "هذه حضارة متفسخة تماماً، يا طبيب. متفسخة جنسياً" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 109).

وحاول غازي القصيبي أن ينقل معاناة المرضى في المصحات النفسية للقارئ حين يصوّر البروفسور في مصحة مونتري كيف أحس أن الطبيب جونسون اتهمه بقتل سوزي، وكيف أنه لم يتحمل هذه الاتهامات فاعتدى عليه بالضرب[1]، ثم رفضه للبقاء في المصحة وإصرار الدكتور جونسون عليه بالبقاء ورفع الأمر إلى المحكمة التي قضت أنه ما زال مريضاً والدليل أنه لا يتعاون وقرر القاضي إبقاء بشار الغول "البروفسور" في المصحة لمدة ثلاثة أشهر ثم عرضه مرة أخرى على المحكمة[2]، ثم وصف البروفسور حاله عندما رجع إلى المصحة ومحاولة جونسون "استخراج كل الفضائح والقبائح" من عقل البروفسور الباطن[3]، وهو يرى أنه يستخرج المعلومات بدون وجه حق

---

(1) ينظر: العصفورية: 81.

* يظهر أن البروفسور الذي جعله غازي القصيبي البطل في هذه الرواية لم يكن معجباً بالأمريكان كما يزعم أنه يحمل في قلبه كراهية جميع البشر عدا الأمريكان (ينظر: العصفورية: 16- 17) بل هو ينتقد حضارتهم وإن كان في ظاهر كلامه أنه معجب بهم؛ ويتضح من هذه المواقف وغيرها أنه يقارن الثقافة الأمريكية بالثقافة العربية ويحاول إسقاط الثقافة الأمريكية فماذا بعد تصويره لأهم ما يبني المجتمع (التعلي) بالتفسخ الجنسي؟!

(2) ينظر: العصفورية: 104 – 109.

(1) ينظر: العصفورية: 80.

(2) ينظر: العصفورية: 81 – 82.

(3) ينظر: العصفورية: 82.

ويتسأل "هل يجوز أن تنتهك حرمة أسراري على هذا النحو المهين؟ هل يجوز لإنسان أن يمد أظافره في أعماقي ويستخرج منها كل المخبوءات؟" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 86)، ويقرن بين ما يحصل في العيادات النفسية والاغتصاب، ويرى أن التحليل النفسي من أبشع أنواع الاعتداءات على أخص الخصوصيات بل هو أشنع من الاعتداء الجنسي[4]، حتى وصل أنه يرى نفسه مثل حشرة كريهة قبيحة مجروحة في مصحة نفسية تستجوب.[5]

وتطرق غازي القصيبي لمعاناة المرضى النفسيين الذي تعرضوا للصدمات الكهربائية وينقل على لسان بطله "البروفسور" بأنها "الاغتصاب الأعظم. الانتهاك الأكبر. العدوان الأغشم" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 89)، ويرى أنها قد تغيير حياة الشخص نهائياً بخلاف ما يعتقده الأطباء أن أثرها لا يتجاوز عدة أسابيع، ويرى أنها "اغتصاب المخ عن طريق الكهرباء "(القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 90)، ويتسأل "هل يجوز انتهاك مخ الإنسان. أثمن ما لدى الإنسان؟" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 90) ويسترسل البروفسور في وصف إحساسه عندما تعرض للصدمة الكهربائية حيث ربطوه بشكل محكم وشبكوا الأسلاك في يديه ورجليه ورأسه وبدأوا بإعطائه الإبر التي تفقده الوعي "فقدت الوعي، تقريباً. ثم أحسست بأعظم ألم عرفته في حياتي. ألم لا يطاق ولا يوصف. لا أزال أرتعد حتى هذه اللحظة وأنا أتذكره. شعرت بنار تدخل من أذنيّ إلى رأسي ثم تسلل إلى قدميّ. شعرت بشيء يهزني بعنف. شعرت بمنشار يقضم عظامي. شعرت بأسناني تصطك. ثم فقدت الوعي تماماً" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 91) وهو بهذا يعترض على الأطباء النفسيين الذين لم يجربوا العلاج بالصدمات الكهربائية[6]. وقد لجأ البروفسور في نهاية المطاف إلى خداع الطبيب المعالج بتظاهره بأنه يتفاعل مع طبيبه، ويصوغ الإجابات على ما يريد منه الطبيب؛ بل يخترع بعض القصص والمغامرات.[7]

وقد انتقد "البروفسور" بعض المصحات النفسية مثل مصحة بلاكبول التي تستعمل عقاقير الهلوسة في علاج المرضى وينقل تجربته بهذه الطريقة في العلاج فيقول: "تعرف ذلك العالم الغريب المتأرجح بين النوم واليقظة. العقل والجنون. تعرف العين التي تتحول إلى قبر. والبشر الذين يطيرون. والذبابة بحجم المنزل. وقوس قزح الذي يصبغ ثيابك...إلخ" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 182) وذكر أنه بعد هذه الهلوسة أصبح يتلذذ برسومات بيكاسو وأشعار الصوفيين.[1]

ويرى غازي القصيبي أن المريض النفسي يحتاج إلى التفهم والتقبل والنزول إلى مستوى المريض والإحساس بما يعانيه أكثر من أي شيء آخر، ويظهر ذلك في وصف "البروفسور" إحدى الطبيبات النفسية بأنها "لم تضع وقتها ووقتي في الأسئلة الماصخة عن الطفولة وعقدة أوديب وتنافس الإخوة. خَشّت*، رأساً، في الموضوع... تؤمن أن السلوك البشري ظاهرة معقّدة يستحيل تفسيرها في ضوء ما حدث في السنوات الخمس الأولى. كانت تؤمن أن كل فكر

(4) ينظر: العصفورية: 86.

(5) ينظر: العصفورية: 89.

(6) ينظر: العصفورية: 91.

(7) ينظر: العصفورية: 96.

(1) ينظر: العصفورية: 182.

* أراد غازي أن يعطى مصداقية للموضوع فتحدث باللغة الدارجة واستعمل لفظة "ماصخة" وهي تعني سخيفة، ولفظة "خَشّت" بمعنى دخلت في الموضوع مباشرة.

إنساني، من الرياضيات إلى الفلسفة إلى هندسة الكومبيتر [كذا]*، يمكن أن تضيء جزءاً من النفس البشرية. كانت ترى أن التركيز على مشاكل الحاضر أجدى من... [كذا]*" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 219).

ويرى أن هذه الطبيبة لم تكن من الطراز الذي تعوّد عليه في أوساط الأطباء النفسيين، فهي لم تشعره بأنه مريض وأنها طبيبة. وكانت العلاقة بينهما أقرب للصداقة، ويرى أن حياتها التي عاشتها قبل الاتجاه إلى الطب صنعت منها هذه الشخصية المتميزة "كانت يتيمة من عائلة فقيرة. وكان عمها يبيع المخدرات ويستعين بها لإيصال البضاعة إلى الزبائن. ثم قبض عليها البوليس. ودخلت السجن. وقضت 3 سنوات تعرضت خلالها للاغتصاب 70 مرة... خرجت من السجن محطمة نفسياً. لهذا قررت أن تدرس علم النفس. حسن حظي قادني إلى أعظم خبيرة في العالم في علاج عقدة السجون" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 221).

وقد حاول القصيبي أن يدعو المجتمع إلى تقبل أصحاب الأمراض النفسية على لسان "البروفسور" الذي يربط بين العبقرية وبعض الأمراض النفسية ويظهر ذلك عندما يذكر كثيرا من المبرزين على مستوى العالم فيقول: "كانت ابنة جويس* مصابة بالشيكيزوفرينيا*. اسمها لوسي. وكانت ابنة ديجول* متخلفة عقلياً. كذلك أخت جون كندي*. الأمر الذي يؤكد الصلة بين العبقرية والجنون، إن كانت في حاجة إلى تأكيد" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 67). ويعود البروفسور لتثبيت الفكرة من جديد عندما يتكلم عن الدكتور "مونتيسكييه" ويتهمه بالجنون ويقول: "هل أنكرت أنه مؤهل تأهيلاً عالياً؟ قلت إنه مجنون خالص. هل تعتقد أن التأهيل العالي يتنافى مع الجنون الخالص؟ ألا تعرف أن كثيراً من العباقرة ماتوا مجانين، والبقية عاشوا مجانين؟" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 264).

ويجد البحث إذا ما انتقل إلى روايتي "حكاية حب" و "رجل جاء.. وذهب"* سرداً لقصة رجل كبير في السن، كان يعمل محامياً، واشغل بكتابة الروايات، وقد تزوج ثلاث مرات؛ لكنه لم ينجب سوى ولد واحد فقط لكون زواجه الثاني والثالث لم يوفق، وفي أثناء إقامته في مصحة لعلاج السرطان وقع في حب فتاة تصغره في العمر ومتزوجة من شخص يكبرها في السن ولديه أطفال ليتناسى آلامه وأحزانه.

ويظهر أن غازي يريد أن ينقل للقارئ معاناة كبار السن الذين دنى منهم الأجل لكبر السن وأنهكم المرض ويريدون أن يتناسوا آلام المرض والعجز، ومن ذلك وقوع "يعقوب" في حب الأنثى الساحرة التي رآها في متجر صغير في بهو الفندق، وحاول أن يشتري منها الهدايا التي تفضلها ويطلب من مكتب الاستقبال إيصالها لمديرة متجر التراث كهديه من كاتب إلى قارئه(1).

---

* أراد غازي هندسة الحاسب الآلي وهو اعتمد على أصل الكلمة الإنجليزية (computer).

* يقصد من الجنس الذي شغل فرويد وأتباعه.

* هو: جميس جويس: كاتب وشاعر من دبلن.

* هو: مرض نفسي (schizophrenia) ويترجم بالعربية الانفصام الشخصي أو الفصام النفسي.

* شارل أندريه جوزيف ماري ديجول: عسكري بارز وزعيم سياسي فرنسي في الفترة من 1940 حتى 1969م.

* جون فيتسجرالد "جاك" كيندي هو رئيس سابق للولايات الامريكية المتحدة.

* يظهر للقارئ أن الرواية الثانية تكمل الرواية الأولى فغازي كتب رواية "حكاية حب" أولاً وفيها نظر للأحداث من زاوية "يعقوب العريان" ثم أكملها بروايته "رجل جاء.. وذهب" ونظر للأحداث من منظور "روضة"، وفي بداية هذه الرواية أشار غازي إلى ذلك عندما كتب: "قراءة ((حكاية حب)) قد تقود إلى فهم أفضل لهذا الكتاب" (رجل جاء.. وذهب: 6).

(1) ينظر: حكاية حب: غازي بن عبد الرحمن القصيبي، دار الساقي، الطبعة العاشرة، 2015م، (12- 16).

ويحاول غازي أن يفسر ظاهرة حب كبار السن للفتيات الصغيرات للهروب من الواقع الذي يعيشه حيث ينقل لنا كلام الطبيبة النفسية التي قابلها في المصحة "كنت أقول للرجل الذي هجر زوجته بعد أربعين سنة من الزواج ليعيش مع فتاة في الثامنة عشرة إنه لا يحب الفتاة ولكنه يعشق شبابه الذي تعيده الفتاة إليه، مؤقتاً" (القصيبي غ.، حكاية حب، 2001م، 60).

وتظهر محاولة هروب "يعقوب العريان" من واقعه ويحاول أن يتناسى فكرة الموت التي تلح عليه في كل شيء حتى في طعامه وشهيته الممتازة "هل تعتقدين أنه من الطبيعي أن يتمتع إنسان موشك على الموت بشهية ممتازة؟" (القصيبي غ.، حكاية حب، 2001م، 13) ويدرك أن هذه المصحة ليست موضوعة إلا من أجل أن يتناسى المريض الموت "في هذا المكان المعد للموت، وللموت وحده، لا تبحثون موضوع الموت!؟" (القصيبي غ.، حكاية حب، 2001م، 12) ويحاول أن يتناسى الألم بمعابثته للممرضات وهن يحاولن تخفيف معاناته بشتى الوسائل[1].

ويحاول "يعقوب العريان" أن يفسر في هذه الحكاية "الحب والجنس" فهو يتساءل عنهما ويحاول أن يُشْرِك من حوله في هذا التساؤل فحيناً يسأل الممرضات[3]، وحيناً يبحث عن الإجابات عند دكتورة ماري هيلارد التي كانت قبل أسابيع قليلة من دخولها المصحة تزاول الطب النفسي ويحاول أن يعرف ما لديها ويستفسر عن علاقة الجنس بالتدخين ويحاول أن يفسر من خلالها تعلُّقه بفتاة تدخّن ويحاول أن يفهم لماذا تدخينها أمامه يثيره جنسياً،[4] ويحاول يعقوب أن يترك الطبيبة النفسية تعرّف الحب وتتحدث عن تفسيرات المواقف التي مرت به مع روضة[5].

وفي المقابل يجد البحث أن "روضة" كانت تعرف أنها ستحب "يعقوب العريان" لأنها رأته في المنام وهذا ما جعلها تقول عنه: "عندما دخل متجر الفندق، كاد قلبي أن يتوقف عن الخفقان. حلم آخر يتحقق. بسرعة البرق. أراه، البارحة، في النوم. وأراه، اليوم، في الواقع" (القصيبي غ.، رجل جاء.. وذهب، 2002م، 14) وتصف روضة كيف تجاهلت ذلك الرجل "يعقوب" وكيف طلب منها هدية لزوجته وهي على يقين أنه يكذب عليها فهو ليس متزوج؛ لكنها لعبت معه اللعبة، لتتفاجأ بموظف استقبال الفندق يحمل لها العلبة التي غلفتها وهو يبتسم ويقول: "من الأستاذ يعقوب العريان. المحامي الخليجي الثري. يبدو أنها هدية" (القصيبي غ.، رجل جاء.. وذهب، 2002م، 15) وهي بذلك استسلمت للحب[1] لكنها حاولت أن تسيطر هي على العلاقة "سوف أحبه. وسوف يحبني. وسوف أكون أنا الطرف المتحكم في العلاقة. الطرف السيد. سو أحدد أنا الشروط. وسوف أرسم الحدود...إلخ" (القصيبي غ.، رجل جاء.. وذهب، 2002م، 28) وستبخل عليه بالحب "ولن أقول له إني أحبه" لأنها ترى أن تعبيرها بالحب لحبيها الأول "برهان" هو الذي قتله، وعندما شعرت بالسعادة مع "هادي" مات، وهي تفترض أنها متى ما عبّرت عن حبها لـ"يعقوب" فأنه سوف يموت.[1]

---

(2) ينظر على سبيل المثال: قصته مع هيلين (حكاية حب: ص:10- 12)، وقصته مع جانيت ومجاراته في حوار غير مستساغ (المرجع السابق: ص: 19- 21) و(ص: 24- 25)، وحواره مع هيلين ولقاءاتها الغرامية (ص: 28- 30)...وغيرها من الأمثلة.

(3) مثلما نجد في (ص:24- 25) حينما ربطت الجنس بالتدخين، مثل سؤال يعقوب لهيلين عن لقائها الأول (ص: 29- 30) وسؤاله لجانيت عن لقائها الأول (ص:33- 38)، وسؤال يعقوب لهيلين عن "ما هو الحب؟" (ص: 39) على الرغم أنه في إحدى رواياته ذكر ما هو الحب حيث عرفه بأنه "القوة السحرية التي تمكن الإنسان من التعامل قضايا الحياة دون الاستعانة بخدمات الموت"... وغيرها.

(4) ينظر: حكاية حب: 30 – 33.

(5) ينظر: المرجع السابق: 59- 64.

(6) رجل جاء.. وذهب: 17.

(1) ينظر: رجل جاء.. وذهب: 28.

وتعترف "روضة" أنها كانت قاسية على يعقوب وحاولت في الدقيقة الأولى منعه من الحديث عن زوجها "منصف" وهو يمتثل لأوامرها وتصف حالها معه "من اللحظة الأولى كنت أنا السيدة، وكان هو العبد. كان، مثل عصفورة قيس، يذوق بين يديَّ صنوفاً من العذاب. كان وجهه الشاحب يزداد شحوباً مع كل جرعة من القسوة..." (القصيبي غ.، رجل جاء.. وذهب، 2002م، 34) بل وبلغ من قسوتها عليه أنها أمرته ألا يهاتفها ما دام بعيداً عنها وأن تكون حياتهما منفصلتين تماماً وأن يكتفي بالوصال معها بساعات قليلة كل بضعة شهور.[2] فهذه السادية التي تحلت بها روضة والمازوخية التي تحلى بها يعقوب تعتبر معالم مرضية.

وقد اكتشفت روضة أنه مصاب بسرطان الدم وذلك من خلال هذيانه وهو نائم، ثم قامت بالسؤال عن هذا المرض وعرفت أن عمره لن يدوم طويلاً فهو يقتل في أسابيع بقدرة الله، وقررت أنها لن تظهر ليعقوب أي شيء فيما يتعلق بمعرفتها عن مرضه مهما كانت الظروف، كما قررت ألا تغير تعاملها معه، كما وطنت نفسها على الفراق في أي وقت.[3] وعاشت ألم الفراق وهو ما زال على قيد الحياة[4].

ولم يغب عن ذهن غازي القصيبي معاناة المرأة الكبيرة في السن التي تعاني الفجوة بين الأجيال؛ حيث يحكي حكاية امرأة كبيرة في السن اسمها "سلمى" لا يزورها أحد سوى ولدها "سليم" مرة واحدة في الأسبوع[5]، وإذا زارها يظهر عليه التململ فتفهم الأم ذلك فتأمره أن يذهب إلى أبنائه[6]، ويرى أن قمة البر أن يحضر لها مذياع كل شهر لتنشغل به عن واقعها وواقع أمتها[7]، على الرغم من ثقافتها العالية- كما يظهر في الرواية- وانشغالها بالتاريخ حيث ألفت كتاباً ضخماً مكون من أربعة أجزاء اسمته "مواقف حاسمة من التاريخ" (القصيبي غ.، سلمى، 2002، 71).

وأظهر غازي كيف أن هذه المرأة تعيش الألم من خلال حوارها مع ابنها "في السبعين. أو الثمانين. أو التسعين. ما الفرق؟ الحركة صعبة. والذاكرة ضعيفة. والنوم متقطّع. والدنيا تغيّرت. والأصدقاء قلّوا. والأدوية كثرت. والحمد لله على كل حال" (القصيبي غ.، سلمى، 2002، 7).

وهي مسكونة بآلام عديدة على حال الأمة الإسلامية والعربية وتحاول أن تقدم للقارئ قراءات أخرى لبعض الأحداث السياسية والاجتماعية، وقد وفق الراوي عندما جعل الباعث لأفكارها (الراديو) لتصب غضبها على الإعلام وعلى المجتمع من خلال نقدها للصناعة مثلما يجد البحث ذلك جلياً في قولها "الراديو الروسي لا يعرف شيئاً عن التاريخ الحقيقي لواحد من أعظم أبطال المسلمين" (القصيبي غ.، سلمى،2002، 25) وفي قول الراوي: "تقرر سلمى أن الراديو الروسي هو أكذب راديو عرفته في حياتها. تقرر أن تتخلص منه وأن تطلب من سليم ألا يعود، في المستقبل، بجهاز روسي" (القصيبي غ.، سلمى، 2002، 31) وهي بهذا تشير إلى أن الإعلام الروسي يخلط الحقائق ويزيفها*.

وقد عرضت "سلمى" للشؤون السياسية المعاصرة لها بشيء من التحوير في الواقع، ويتضح ذلك عندما تخيلت نفسها تقدم الاستشارات لجمال عبد الناصر بصفتها مديرة المخابرات العامة، وترى أنها كشفت لجمال عن

---

(2) ينظر: رجل جاء.. وذهب: 36.

(3) ينظر: رجل جاء.. وذهب: 70 – 73.

(4) ويظهر ألم الفراق في "رثاء يعقوب العريان أثناء حياته" (ينظر: رجل جاء.. وذهب: 73).

(5) ينظر: سلمى: غازي بن عبد الرحمن القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة السادسة، 2013م، (7).

(6) ينظر: سلمى: 8.

(7) ينظر: سلمى: 8.

* مما يدعم هذا الرأي أن سلمى عندما حذرت جمال من المؤامرة أشارت أن روسيا ستظهر في ثياب الصديق وستمرر أنها ستقف مع جمال حتى النهاية وهي في الواقع من صنّاع المؤامرة ضد مصر.

مؤامرة تهدد سياسته وتهدد مصر بشكل عام وهذه المؤامرة تقوم عليها دول كبرى مثل أمريكا والاتحاد السوفيتي وإسرائيل بالإضافة إلى دول عربية وبعض الشعب المصري.

وستبدأ هذه المؤامرة بتمرير وجود حشد إسرائيلي كبير على الحدود السورية، وسوف يسبق ذلك مناورات جوية مع الجيش السوري وتسقط المقاتلات الإسرائيلية عدداً من الطائرات السورية، وسوف تهدد إسرائيل باحتلال دمشق؛ وبعدها سيصبح جمال جاهزاً للوقوع في الأزمة ويُحرك بدافع الثورة وبدافع القومية العربية، وسوف يقوم الاتحاد السوفيتي بتمرير معلومة من شخص مصري رفيع المستوى عن استعداده لدعم مصر حتى النهاية، وسيقوم جمال بردة فعل تظهر أمام العالم بأنه تستفز إسرائيل وتبرر هجوم إسرائيل، وستقف أمريكا وراء ضغط دولي على مصر لتنتصر إسرائيل في النهاية، وبهذه الضربة يكون جمال عبدالناصر مستعداً للمصالحة مع إسرائيل، وتقترح سلمى على جمال أن يعيد القوات المصرية من اليمن ويعيد ترتيب القوات المسلحة.[1]

وقد شغلت فكر سلمى هزيمة 1967م التي وقعت على مصر وكان أثرها كبير على الدول العربية بشكل عام، ويحاول الراوي أن ينقل للقارئ حالها عندما سمعت الخبر، ومدى دهشتها من الخبر وهي تتخيل أنها حذّرت جمال عبد الناصر من المؤامرة ولكنه لم يصدقها، وينقل الراوي أن هذه العجوز أحبت أن تخرج من هذا الإحساس المرير بالهزيمة فالتجأت إلى النوم.[2]

وكذلك يلاحظ البحث كيف أن سلمى قررت أن تغيّر الواقع السياسي في فلسطين فقررت في خيالها أن تقلب الطاولة على أحد أكبر القادة الإسرائيليين رئيس الوزراء الإسرائيلي "أرييل شارون". فهي تتنكر بزي نقيب في القوات الإسرائيلية حتى تقابله وتؤدي له التحية العسكرية ليأمن جانبها، وتدّعي أنها من يهود اليمن؛ لتتمكن من قتله انتقاماً للأبرياء من الشيوخ والعجائز والنساء والأطفال الذين قُتلوا بلا سبب، وتمكنت من ذلك عندما طلبت منه التوقيع على دفتر الأوتوغراف الصغير، وطلبت منه تقبيل وجنتيه وتضغط على الرز الذي فجّر المجرم مع أجزاء منها.[3] فهي قدمت نفسها نصرة للتاريخ العربي والإسلامي ولنصرة الحق.

ويلحظ البحث أن تاريخ الأمة العربية لم يغب عن سلمى فهي تستذكر التاريخ العربي ويقف ذهنها عند سقوط الأندلس وكيف وقف أبي عبد الله الصغير على جبل "شهقة العربي الأخيرة" وقصته مع أمه التي قالت له "ابكِ مثل النساء ملكاً مضاعاً" وتسرد قراءة أخرى لهذه القصة فهي ترى أن هناك صراعاً بين والدة محمد وزوجته "لم يكن الخلاف بين المرأتين عميقاً عمق المأساة التي عاشتها الأندلس في عصر ملوك الطوائف" (القصيبي غ.، سلمى، 2002، 25)، وترى سلمى أن الزوجة كانت تطمح أن يعيد زوجها المجد العربي ويترك الخلافات التي قامت بين الأقارب من أجل السلطة، وأن أم الزوج كانت باعثاً للخلاف بين الإخوة وبين الآباء والأبناء بل وزجّت بابنها في مغامرة طائشة مع الإسبان حتى وقع أسيراً في يدي الإسبان، ولم تكتفي الأم بذلك بل بقيت على إذكاء نار الفتنة بين زوجها وأخيه. وحاولت الزوجة أن تنقذ زوجها وتستعيد الأمجاد العربية في الأندلس بدهاء. تمكنت الزوجة من توحيد الجهود بين العم وابن أخيه لتصبح القوة العربية في الأندلس قوة عظمى.[4]

وتنقد سلمى بعض الأعمال الفنية مثلما حدث عندما انتقدت العمل الفني الذي قام به منصور الرحباني عن المتنبي، وتراه عملاً ناقصاً حيث أغفل دور المرأة التي كانت هي المحرك لتصرفات المتنبي، ويدور في ذهنها أن التاريخ قد كذب على المتنبي عندما أشار أنه تعلّق بخولة أخت سيف الدولة، وترى أن المتنبي أحب زوجته "سلمى" وهي التي

(1) ينظر: سلمى: 9 – 22.

(2) ينظر: سلمى: 22 – 23.

(3) ينظر: سلمى: 65 – 70.

(4) ينظر: سلمى: 24 – 31.

كانت الباعث الحقيقي له.[1] وترى أن موت المتنبي كان إثر مؤامرة "وتبسم العجوز وهي تستمع إلى الهراء. لا يعرف الراديو أن المتنبي سقط صريع مؤامرة كبرى شارك فيها كل ولاة عصره" (القصيبي غ.، سلمى، 2002م، 38- 39).

وتحاول سلمى أن تعيد قراءة قصة سقوط بغداد وتنتج قراءة جديدة وترى فيها أن زوجة الخليفة المستعصم أدركت أن زوجها لا يستطيع تسيير شؤون الدولة فقررت أن تسيطر هي على شؤون الدولة وتجمع خيوط السلطة في يدها وتمكنت من ذلك ولم يبق خارج سلطتها سوى ابن العلقمي، وقامت باغتيال ابن العلقمي بعدما تأكدت أنه عميل مأجور لهولاكو، وقامت بالمراسلات لامرأة هولاكو المسيحية التي علمت أنها لا تطيقه، وأبدت "ماريا" زوجة هولاكو تعاوناً مع "سلمى" زوجة المستعصم، وتم القضاء على هولاكو، ثم أمرت زوجها "الخليفة المستعصم" أن يقوم ويتلقى التهاني بالنصر الذي لم يحقق منه أي شيء ولم يعلم عنه أصلاً.

وتقدم سلمى قراءة جديدة لانتصار صلاح الدين الأيوبي وتحريره لبيت المقدس في معركة حطين، وترى أن زوجة صلاح الدين كان لها الأثر الأكبر في نصرة زوجها*، وحاولت التسلسل إلى مخيمات الفرنجة لجمع الأخبار التي تخدم زوجها، وكيف كانت تتنكر في ثياب غلام فرنجي أو امرأة فرنجية أو جندي فرنجي وتأتي بالأخبار والمعلومات المهمة التي تساعد في نصرة زوجها.[2]

وإذا ما انتقل البحث إلى قراءة رواية "سعادة السفير" يجد صورة المرض فيها تتمثل في سياسي ديكتاتوري أحب أن يسيطر على شعبه بالقوة، بل جاوز السيطرة على شعبه بمحاولة السيطرة على الدول المجاورة؛ فقام بحرب "عجمستان" ولم يفلح فيها ثم التفت إلى دولة "الكوت" وحاول السيطرة عليها وعلى سفيرها "يوسف الفلكي" وحاول قتله عدة مرات، مما جعل "يوسف" يتضامن مع السلطة البريطانية التي كانت ترى في "همام" عدواً لها بالإضافة إلى المعارضة النهروانية التي استطعت في نهاية المطاف التخلص من "همام بوسنين".

ويظهر في الرواية أن "يوسف الفلكي" مسكون بحب الانتقام من "همام بوسنين" وقد حاول الاستعانة بالحكومة الأمريكية لكنهم خيبوا آماله بعدما أضاع معهم قرابة السنتين في التخطيط للتخلص من همام، وظهرت خيانتهم له في آخر لحظة مما أدى إلى قتل أكثر من مئة ضحية حاولوا الانقلاب على همام، فالتجأ يوسف إلى الحكومة البريطانية لتكون له العون في دعم الانقلاب الذي ينظمه على همام.[3]

ويكشف وزير الدولة البريطانية لمساعده الشخصي أسباب هذا الحنق من يوسف على همام فيقول: "علاقة صاحب السعادة بالطاغية غريبة جداً. كان قبل الغزو سفيراً لبلاده في النهروان. قضى هناك قرابة أربع سنوات، وكان فعّالاً جداً (...) ثم توترت العلاقة بين الزعيم والسفير (...) وقعت حادثة مرور. كالعادة، حادثة مرور. ماتت زوجة السفير ونجا هو بأعجوبة [كذا]*. بعد الحادث جاء الغزو" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 18- 19) ويظهر حقد يوسف على همام بسبب قتل زوجته "ناهد"* وغزو بلده "الكوت".

---

(1) ينظر: سلمى: 31 – 39.

* يظهر في وصف "سلمى" زوجة صلاح الدين أوصاف لا تليق بامرأة مسلمة، وخاصة امرأة قائد عظيم كصلاح الدين. وقد يكون ذلك بدافع إظهار قوة وشجاعة المرأة المسلمة؛ لكن خان غازي التعبير.

(2) ينظر: سلمى: 44 – 51.

(3) ينظر: سعادة السفير: 11 – 18.

* المفترض أن تُكتب بهمزة مضمومة؛ لكن يظهر أن غازي كان يريد أن تكون أقرب للعامية المستخدمة عند بعض سكّان الجزيرة العربية.

* مما يدعم أن زوجة يوسف "ناهد البليدعي" قُتِلَت ما ورد في (ص: 21) "انتهت حياة ناهد، على نحو مأساوي، في شارع من شوارع سعدباد عندما اصطدمت السيارة التي كان يوسف يقودها، وناهد بقربه، بشاحنة عسكرية ضخمة" ثم تعليق الراوي أن يوسف بات "مسكوناً بالانتقام من الديكتاتور الذي يوقن يوسف أنه دبّر الحادث".

ويكشف الراوي أن حب الدماء متجذّر في روح همام حيث يروي ليوسف أن حرباً نشبت بين عشيرتين من عشائرهم بسبب قتل أحد الغلمان لكلب يعود لابن شيخ العشيرة الثانية، ويروي أن حكيم عشيرة الغلام القاتل للكلب أشار إلى قتل قاتل الكلب؛ لكن والده لم يسمح بقتل ولده من أجل جرو. فقامت العشيرة الثانية بقتل قاتل الكلب وقامت بعد ذلك المجازر بين العشيرتين حتى لم يبقى من العشيرتين سوى النساء والأطفال والحكيم الذي قال: "اقتلوا قاتل الكلب".[1]

ويظهر أن همام منطلق من مقولة "الشعب النهرواني لا يحترم إلا الزعيم القوي، الزعيم المناضل، الزعيم الثوري، الزعيم الذي لا يخاف، الزعيم الذي يجسّد إدارة الأمة في شخصه، الزعيم الذي يسكن التأريخ كل ذرة من ذراته..." (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 51) فهو يرى أن شعبه لا يقوم إلا بالقوة وبالنضال، ولهذا أصبح ديكتاتورياً على شعبه.

ويرى البحث أن همام لديه من الجبروت والثقة بنفسه وبحكمه لدرجة أنه يؤمن أن الحكومات الغربية متفسخة فاسدة لا تغنِيها سوى مصالحها المادية "أعط أي حكومة من حكومات الغرب صفقة وسوف تلتقطها كما يلتقط الكلب الجائع عظمة، ويكف عن النباح. الغرب أسطورة خلقناها وصدقناها. الغرب أعجز من أن يخيف حكومة وطنية ثورية" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 51).

ويحاول همام أن يرسل ليوسف من يغتاله والحكومة البريطانية توعز إلى عميد السلك الدبلوماسي العربي ليحذر يوسف: "ما يقلق السير ويليام، ويقلقني أكثر، هو وصول معلومة مؤكدة إلى الأجهزة البريطانية مؤداها أنه صدرت، مؤخراً، تعليمات مشددة من همام بتكثيف الجهود لاغتيالك" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 61)، ولا تحاول الحكومة البريطانية أن تناقش يوسف مباشرة حتى لا يقع على عاتقهم المحافظة على سلامته وحمايته من همام،[2] ويوسف يعيش القلق النفسي بسبب همام فيقول: "الذي لا يعرف أن هناك مؤامرة لاغتياله ينام قرير العين. أما الذي يعرف أن هناك من يحاول قتله فسوف يموت ألف مرة قبل الموت الحقيقي" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 68).

ويصف يوسف بعض صفات همام بقوله: "همّام كان، ولا يزال، حريصاً على ألا يتمكن أي إنسان من توقّع أي تصرّف يقوم به، حتى الأشياء العادية كمقابلة سفير. همّام هو رئيس الدولة الوحيدة في العالم الذي لا ينشر شيء، أي شيء، عن ارتباط من ارتباطاته إلا بعد انتهائه. وهو رئيس الدولة الوحيد، في التاريخ، الذي لا ينام ليلتين متتاليتين في مكان واحد" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 74). ويظهر في هذا الوصف ولوع همّام بالغموض وقد يكون الباعث لذلك القلق والاضطراب الذي يعيشه، وخلق الرعب في الشعب.

ويبدو أن همّام يتخذ أقصى الاحتياطات الأمنية ويظهر ذلك في وصف يوسف أن لديه عدة قصور، وعشرات الاستراحات والمخابئ، بالإضافة إلى مئات الأماكن التي تملكها الأجهزة الأمنية وسط الأحياء العادية، وأنه اتخذ في أثناء غزوه للكوت استراتيجية جديدة حيث كان يختار مسكناً عادياً لمواطن عادي، وينام في إحدى غرفه. بل يرى يوسف أن كل ما سُمع عن احتياطاته الأمنية هو أقل من الحقيقة، فقد يتنكر بأي زي، وقد يوهم مرافقيه بخلاف ما يريد.[1]

---

(1) ينظر: سعادة السفير: 24 – 26.

(2) ينظر: سعادة السفير: 62.

(1) ينظر: سعادة السفير: 75 – 76.

ويكشف يوسف عن منطلقات همّام في علاقاته النسائية حينما يقول: "بوسعي أن أعطيك المبدأ الذي يحكم نظرة همّام إلى الجنس وإلى المرأة. هذا الرجل لا يعتبر الجنس وسيلة للمتعة أو اللذة أو الإنجاب ولكنه يعدّه فتحاً واجتياحاً وتملكاً. والنساء، بالتالي، لسن أدوات متعة أو لذة أو غرام ولكن مجرد ممتلكات تُغْرى وتُفْتح ثم تترك. المرأة لم تلعب، قط، دوراً يذكر في حياة همّام ولا أظنها، الآن، تلعب دوراً كهذا. المرأة شيء هامشي جداً في عالم همّام" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 77).

وتتضح ديكتاتورية همّام أن قد يعجب بامرأة متزوجة فيأمر زوجها بطلاقها ويبعده عن البلاد مثلما حدث مع شهرزاد "كانت، عندما عرفها، متزوجة ولها طفلة صغيرة. تلقى الزوج أمراً بتطليقها، ونُقل إلى وظيفة دبلوماسية في موسكو، مع تعليمات مشددة بعدم العودة" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 78)، وكان مصير الطفلة الصغيرة أن أدخلها همّام دار رعاية تشرف عليها الدولة، ومنعت الأم من رؤية ابنتها، وكانت شهرزاد مغلوبة على أمرها مع همّام ولا تشعر بعاطفة حقيقية تجاهه[2].*

ويسرد يوسف أنه عندما عُين سفيراً لبلاده في دولة النهراوين كان همام في حالة نفسية سيئة جداً بسبب حربه مع عجمستان وتردي الوضع، وكان همام في حاجة ماسة إلى الدعم المالي والعسكري والاستخباراتي، وقام يوسف بتقديم المساعدات اللازمة من دولته ومن الدول المجاورة، بل ومن الاستخبارات الغربية، ولهذا لقي يوسف نوع من التعامل يختلف عن غيره من السفراء.[3] ويعقّب بأن "الديكتاتور فصيلة خاصة من البشر تختلف، جذرياً، عن بقية البشر. الديكتاتور، في حقيقة الأمر، لا يعتبر نفسه من البشر. الديكتاتور ينظر إلى نفسه نظرة خاصة... الديكتاتور لا يعتبر نفسه مجرد إنسان من لحم ودم. يعتبر نفسه تجسيداً بشرياً لشيء أسمى وأعلى، لشيء فوق البشر أجمعين" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 83).

ويرى يوسف أن همام أكثر تعقيداً من هتلر وستالين موسوليني، ويرى أن "تركيبة همّام النفسية شبيهة بغابة استوائية كثيفة. تجد في الغابة النور والظلام، الفراشات والأفاعي السامة، الحياة والموت. همّام ملحد على نحو ما ولكنه مؤمن على نحو ما... وهمّام يتصور أنه رجل الشعب، رجل الشارع، الإنسان الذي يحقق ما حققه لأنه يؤمن بالجماهير ويناضل من أجلها. مع ذلك فنظرته الميتافيزيقية إلى نفسه تجعله يعتبر نفسه كائناً فوق الشعب، فوق التاريخ، فوق الزمان والمكان" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 84- 85)، ويرى يوسف أن التعامل مع هذه النوعية من الشخصيات في غاية الخطورة "قد تقضي كلمة طائشة واحدة على حياتك. وما أكثر أعوانه الذين فقدوا حياتهم نتيجة كلمة طائشة واحدة، حقيقية أو مختلقة" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 85).

ويرى يوسف أن الديكتاتور قد خلق جواً مشحوناً في بلده وبالأخص عاصمة بلاده "سعدباد" ويقول في ذلك: "كانت سعدباد، وأظنها لا تزال، مدينة كئيبة يائسة منطوية على همومها. كانت سعدباد، وأظنها لا تزال، مشغولة

---

(2) ينظر: سعادة السفير: 85 – 86.

* ويتضح من رسالة يوسف لزوجته المتوفية عن شهرزاد وعن علاقة همام بها، وكيف استولى عليها بدون أن يستأذنها بمجرد أن أُعجب بها وسيطر على حياتها بدون أي إنسانية. (ينظر: المرجع السابق: 95 – 98)، وكذلك تظهر عدم إنسانية الديكتاتور في كون شهرزاد غير مرتاحة معه وتحذيرها ليوسف من تصرفات همام وكيف حرمها من ابنتها وأرغم زوجها بطلاقها بالرغم من أنهما كانا سعيدين مع بعضهما (ينظر: المرجع السابق: 121- 122)، وكذلك وصف همّام لشهرزاد أنها عنز وتجاهله أن من حقها أن تختار ما تريد ومن تريد (ينظر: المرجع السابق: 123- 126)، وكذلك تهديد همام أنه سيدمر الخائن سواء كان رجلاً أو امرأة أو دويلة وهو يشير إلى تدمير دولة الكوت لعلاقة يوسف بشهرزاد.

(3) ينظر: سعادة السفير: 81 – 82.

بلعق جراحها. وكل يوم جديد يأتي بجرح عميق جديد. وكان [كذا]* الناس مستسلمين لقدرهم، لقنابلهم، لنعوشهم، لميداليات الشهداء، وللزعيم الذي فرض عليهم أن يكرهوه ويخافوه ويعشقوه. وأن يروه في كل لحظة من لحظات النهار" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 89).

وتصرفات همام وضغطه على شعبه جعل عدد من جيشه ينشقون عنه ويحملون راية المعارضة ومن هؤلاء المنشقين "إياد الخانكي" اللواء السابق في القوات الخاصة بالجيش النهرواني، الذي اختار الإقامة في الدانمرك، وكان قد رتّب لانقلاب وفشل، ثم هو الآن يرتّب انقلاباً عسكرياً على همّام بالتعاون مع يوسف لكنه يرى أن الأوضاع غير مشجعة، والتحرك لن يكون في صالحهم، ونجاح أي انقلاب في تلك الفترة مستحيلاً؛ لأن همام حاول زرع الخلافات في القوات المسلحة فهناك القوات الخاصة التي من مهامها أن تحمي العاصمة والأماكن الحساسة الأخرى، وهناك الجيش النظامي يمنع أن تقوم وحداته بالتنسيق فيما بينها، وهناك الجيش الشعبي الذي يراقب الجيش النظامي.[1]

ويصف أياد الحال في بلاده ويرى أن بلاده في خطر حيث أن القوات الخاصة من عشيرة الديكتاتور، ويتمتعون بمزايا لا يحلم بها كبار المسؤولين في الدولة "الضباط الموجودون، الآن، من خريجي المدارس الابتدائية والمتوسطة الذين اختارهم همام، بنفسه، وأدخلهم دورات عسكرية قصيرة. بقدرة قادر أصبح هؤلاء الفاشلون ضباطاً يحمل بعضهم رتبة الفريق" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 133)، ويرى أن الجيش الشعبي بأسره "مكون من خريجي السجون واللصوص والقتلة. الجيش الشعبي لا يفكر إلا في بطنه، وآخر شيء يهمه هو مصلحة البلاد" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 134)، والجيش النظامي ليس فيه العدد الكافي لمحاولة الانقلاب[2]. مما جعل إياد يزرع شابين من أقارب الطاغية "همام" داخل الحرس الرئاسي على استعداد من اغتياله.[3] وقام يوسف بدعم القضية بمبلغ نصف مليون جنيه إسترليني.[4]

ينقل يوسف ذكاء همام في التعاطي مع الإعلام فلا يظهر من حياته إلا ما يريد هو أن يظهر، فمثلاً أصبح رائد الحقوقيين رغم أنه لم يدرس سوى سنة واحدة في كلية الحقوق ورسب في آخرها "همام، طبقاً لإعلامه، نصير الفن والفنانين، ولكني أشك أنه سمع سيمفونية واحدة في حياته، أو رأى لوحة واحدة لفان جوخ. هناك قرابة مئة كتاب وكتيب بقلمه، والحقيقة لم يكتب واحداً منها" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 141- 142).

ويرى يوسف أن هناك أربعة مفاتيح لفهم شخصية همام هي: الفقر، والكرامة، والإرادة، والمغامرة. فهمام ولد في أسرة فقيرة جداً، وفقرها هذا وضعها في قاع السلم الاجتماعي، واضطرت أمه أنها تتزوج بعمه بعد وفاة والده بسبب الفقر. واضطر هو أن يتقبل فظاظة عمه بسبب الفقر قبل أن يهرب إلى خاله، فاتجه بعد ذلك إلى البحث عن السلطة، وبسبب الفقر تضخمت عنده الكرامة، وكان مصرّاً على المحافظة على كرامته فلا يسمح لأحد أن يمس كرامته. وقد تعلّم همام في طفولته إن الإرادة القوية تحقق المعجزات فأمسك بهذا المبدأ حتى سيطر على منهم أقل منه إرادة أو عديمي الإرادة، وصقل الإرادة بوشاح المغامرة حتى وصل إلى قمة الهرم عن طريق سلسلة من المغامرات.[5]

---

* يبدو لي أن غازي أراد "كأن" لكن الهمزة سقطت سهواً؛ لأن المعنى بالهمزة يستقيم أكثر منها بدون الهمزة، فهو فيما يبدو لي يريد التشبيه ولا يريد الفعل الماضي الناقص.

(1) ينظر: المرجع السابق: 130 – 133.

(2) ينظر: المرجع السابق: 134.

(3) ينظر: سعادة السفير: 135.

(4) ينظر: المرجع السابق: 137.

(5) ينظر: المرجع السابق: 142 – 144.

ويذهب يوسف أن هماماً يتخذ عائلته أو عشيرته كوسيلة من الوسائل النافعة للمحافظة على السلطة. ولا يشعر تجاههم بأي مودة، باستثناء أمه التي أحبها حباً شديداً. ويرى يوسف أن هماماً يقدم الولاء على العشيرة، "وإذا اهتز الولاء، لأي سبب، فقد الفرد أهميته، وانتهت حياته. أعتقد أن لديك عشرات الحالات المعروفة" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 144)، ويرى يوسف أن هماماً قد يكون فيه مشاعر إنسانية لكن إرادته تتغلب على مشاعره، وهي التي تتحكم في تصرفاته. ويذهب يوسف أن هماماً يجيد التمثيل حتى في المشاعر "بوسع همام، إن شاء، أن يبدو مهموماً، أو سعيداً، أو باكياً، أو غاضباً، الذين لا يعرفونه يصدّقون ما يرونه بأعينهم ويجهلون أنه تمثيل بارع" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 145)، ويرى يوسف أن هماماً لا يختلف تعامله مع العائلة بأصدقاء السلاح فهو يتخلّص من الصديق إذا انتهت فائدته[1].

وقد استخدم همام شهرزاد في تنفيذ عملية اغتيال يوسف، فأرسلها إلى عمّان للعلاج وإجراء الفحوصات اللازمة، وهي بدورها اتصلت على السفارة البريطانية لطلب النجدة وطلب اللجوء إلى لندن، ووصلت إلى لندن وادعت أنها تخاف على نفسها وتدعي أنها تسلمت رسائل من زوجها السابق، وعرفت مكان ابنتها وحاولت زيارتها لكنها مُنِعَت، وتدعي أن همام سيقتلها إن بقيت في النهراوين.[2]

وبعد فترة من وصولها استضافها يوسف في شقته الواقعة في "كينزنجتون" وقد لاحظ عليها تغييرات كبيرة، وعرف أن كل هذه التغيرات بأمر همام، ومكثت شهرزاد ثلاثة أشهر عنده في لندن حتى يأمن جانبها، وبالفعل قرر أن يتزوجها ويبقى باقي حياته معها، لكنه شك أن هناك شيء تخفيه عنه، ويرى بين فترة وأخرى دمعة تخفيها وتقول له كثيراً: "اقتلني قبل أن أقتلك".[3]

ثم جاءت إلى يوسف التقارير التي تشير أن هماماً قرر قتله عبر شهرزاد؛ لمعرفة همام أنه لن يستطيع الوصول إلى اغتيال يوسف إلا بهذه الطريقة، ويبقى يوسف في حيرة يخسر شهرزاد ويطردها من حياته، ويكون بطردها قد طرد معها أخر آماله في السعادة، أم يبقيها ويموت قتيلاً على يديها، لكنه قرر أن يبقيها ولا يشعرها بشيء، وهي أيضاً لم تظهر له شيئاً، وتتحين الفرصة المناسبة لقتل يوسف وقتل نفسها ووجدت الوقت المناسب حينما كان يوسف يتابع بشغف المباراة التي يشارك فيها فريقه المفضل ويطلب منها كأساً من البيرة، فذهبت للمطبخ، وسكبت البيرة في كأسين، ووضعت فيهما السم ودموعها تسيل، وتغني أغنية للوداع بصوت لا يكاد يُسْمَع، ثم تمسح دموعها وتتجه للصالون، ويقطع التلفاز خطواتها المثقلة بخبر اغتيال همام من حارسيه، وسقط الكأسين من يديها، وبقيت تبكي ويوسف يواسيها بقوله: "ذهب المجرم وانتهى عهد البكاء. لا بكاء بعد اليوم" (القصيبي غ.، سعادة السفير، 2003م، 174).[4]

ويجد البحث أن غازي القصيبي لم يغب عن باله التعاطف مع مرضى المرض الصامت المحرج للمريض ولمن حوله الذي يُضْعِفُ الذاكرة تدريجياً حتى لا يصبح الإنسان قادراً على القيام بشؤونه الخاصة، وقد صور غازي القصيبي في روايته الأخيرة "ألزهايمر"* التي كشف فيها معاناة المريض بهذا الداء، وكيف يتعامل معه الناس وخاصة

(1) ينظر: المرجع السابق: 145.

(2) ينظر: المرجع السابق: 148 – 154.

(3) ينظر: سعادة السفير: 154 – 168.

(4) ينظر: سعادة السفير: 168 – 174.

* يفترض أن يُكتب بدون همزة لكن غازي القصيبي لديه فلسفة في ذلك حيث يرى أنه اسم الجراح الألماني الذي اكتشف المرض في عام 1906م. (ينظر: الزهايمر: غازي بن عبد الرحمن القصيبي، بيسان للنشر والتوزيع، الطبعة السادسة، 2017م، ص: 21).

أقرب الأقرباء له كالزوجة والابن والابنة، وهذا ما أدى إلى هروب البطل في الرواية من الواقع إلى مصحة بعيدة عن بلاده وأهله حتى توفي هناك مراعاة لمشاعره ومشاعر أهله ومحبيه.

وتتضح معاناة البطل من الوهلة الأولى عندما يقف القارئ عند المدخل ويجد أن يعقوب العريان (بطل الرواية) وقف حائراً أمام بائعة العطور التي أراد أن يشتري منها عطر زوجته المفضل فنسي اسمه وحاول عابثاً أن يتذكر الاسم لكن ذاكرته لم تسعفه؛ فاحمر وجهه وبدت عليه علامات الاضطراب وغادر المتجر ولم يقتني العطر الذي تفضله زوجته.[1]

وينتقل غازي لنقل شيء من معاناة مريض ألزهايمر عندما أرسل يعقوب رسالة لزوجته يعتذر فيها عن عدم إخبارها بمرضه من بداية اكتشافه، حتى لا تقلق عليه، ويصف حاله أنه بدأ يفقد تدريجياً الذاكرة حتى أنه لم يعد يفرّق بين الشهور والسنوات "ومتى علمتُ؟ قبل شهور، أو ربما قبل سنة. التفاصيل الصغيرة بدأت تضيع، وقريباً ستضيع التفاصيل الكبيرة" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 13).

ويفسر يعقوب لزوجته أنه فقد أغلب الأشياء التي لم يتخيّل من نفسه أن تنساها مثل تاريخ ميلاد زوجته "لم أنسَ، قط، عيد ميلادك... ولكن لا تسأليني، الآن، عن هذا التاريخ" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 14)، ويرى أن عمره حكم عليه أن يبقى في أسوء سجن "أهناك سجن أفظع من هذا؟ أن يأسرني كوني في السبعين فلا أتصرف إلا وفق النموذج ((المعتمد)) لأبناء السبعين. هل هناك قفص أضيق من هذا القفص؟" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 14).

ويشعر يعقوب بالحرج من أفعاله فيقول: "ثم بدأت تحدث أشياء محرجة. لا داعي لذكر تفاصيلها" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 15)، وبعد أن تأكد أنه مصاب بمرض "ألزهايمر" قرر أن يبعد عن العائلة والناس جميعاً وينفرد بذاته "ودعتك وقلت لك سأذهب، بمفردي، في رحلة عمل طويلة حول العالم... أدركتِ أني بحاجة إلى الابتعاد عنك، وعن زهير وهيفاء والناس كلهم" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 15) وقرر أن يترك بلاده ويتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليتلقى العلاج هناك بل ويعيش باقي حياته في تلك المصحة "وأريد قضاء بقية أيامي في أحسن مصح لمرضى ((ألزهايمر)) في العالم" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 16).

ويلاحظ البحث أن يعقوب لم يقل لزوجته أنه في مشفى يهتم بمرضى "ألزهايمر" بل فضّل أن يستخدم المكان ويقول مبرراً ذلك: "قلت ((المكان)) لأنه ليس مستشفى ولا مصحة ولا عيادة ولا فندقاً ولا منتجعاً. الحقيقية أنه خليط من هذه الأشياء كلها. العناية خيالية، والعاملون مدربون على كل شيء، والمرضى ((صفوة الصفوة))..." (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 16)، وكأنه أراد في هذه الرسالة أن يطمئن زوجته عليه، وكذلك يلمح البحث أن غازي ربما أراد أن يقارن بين المصحات في الوطن العربي والغرب.

وقد حاول غازي القصيبي أن ينهض بمهمة توعية المجتمع بمرض "ألزهايمر" من خلال الرسائل التي وضعها على لسان يعقوب لزوجته ومن تلك التوعية ما يجدها البحث من تاريخية المرض، ورده عن الاعتقاد السائد الذي يعتقده كثير من الناس أن المرض اسمه "الزهايمر"، ويفسر يعقوب لزوجته ويقول: "ألزهايمر إذا أردنا الدقة. ليس اسم المرض ولكن اسم الجرّاح الألماني الذي اكتشف المرض، آلويس ألزهايمر. في سنة 1906 كان هذا الجرّاح يشرّح مريضاً عندما اكتشف تلفاً من نوع خاص في خلايا المخ لم يلاحظه أحد من قبل، وسمي المرض باسم الطبيب المكتشف" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 21)، ويحاول يعقوب أن يشرح باختصار المرض بقوله: "هذا المرض،

(1) ينظر: ألزهايمر: 7.

باختصار، خلل في خلايا المخ، يبدأ بضعف الذاكرة ثم اختفائها وينتهي بالوفاة، مروراً بأعراض أخرى كثيرة أليمة" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 22).

ويحاول يعقوب أن يتناسى المرض ويُطمئن زوجته وأولاده بأن هذا المرض أرستقراطي وأن من يصاب بهذا المرض هم "صفوة الصفوة"[1] وسرد عدداً من البارزين الذين أصيبوا بهذا المرض، واستشهد بمقولة الرئيس الأسبق للولايات المتحدة عن المرض "هذا مرض جميل! تقابل الأشخاص أنفسهم وتظن أنك ترى وجوهاً جديدة كل يوم" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 22- 23)؛ لكنه سرعان ما يعود إلى حقيقة الألم الذي يشعر به ويفضّل الموت على المعيشة بهذه الطريقة ويردد بيت المتنبي "كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً... البيت" ويقول: "عندما يصاب الإنسان بمرض لا يشفيه سوى الموت فمن الطبيعي أن تدور خواطر الموت في ذهنه بين الحين والحين" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 29).

ويقف يعقوب على معاناته مع المرض ويصف بعض آلامه ويرى أن هذا المرض يسبب اختلاط كل شيء على المريض[2]، ويسبب الكآبة بسبب أو بغير سبب[3]، ويرى أن أصعب ما في المرض أنه يترك الإنسان بلا ماضٍ، وبلا ذكريات، وبلا تاريخ[4]، ويرى أن المرض يمر بثلاثة مراحل هي: نسيان المواعيد وعدم الانتباه للوقت وينزع في نهاية هذه المرحلة إلى العزلة والانطواء على الذات ويتلفظ بجمل ليس لها معنى، ثم تأتي مرحلة نسيان المهارات اليدوية كشبك الأزرار كما يجد صعوبة في فهم الكلمات، ولا يتحرّج من إظهار رغباته الجنسية أمام الناس وبلا خجل، وتنتهي هذه المرحلة والمريض في حاجة للمساعدة في الحركة ويعاني من نوبات الغضب والإحباط، ثم تأتي مرحلة نسيان ما يقوم به الإنسان الطبيعي في يومه فلا يعتمد على نفسه في الدخول إلى دورة المياه وغيرها في مناحي الحياة وتنتهي بكون المريض كومة بشرية لا يستطيع القيام بأي شيء دون مساعدة الآخرين[5]، ويصبح الإنسان في نهاية المرض إلى ما يشبه الخضار "يصبح الإنسان خضاراً بشرياً شكله شكل إنسان إلا أن عقليته عقلية حبة طماطم أو كوسه [كذا]* أو بامية" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 122).

ويقارن يعقوب بين هذا المرض والأمراض الدائمة الأخرى كالعمى، ويرى أن هذه الأمراض قد تكون أرحم من ذلك المرض الذي لا يستطيع الإنسان معه القيام بأي شيء دون مساعدة الآخرين "ماذا يبقى لدينا إذا فقدنا القدرة على الحركة وارتداء ثيابنا والكلام؟" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 122)، ويرى أن المصاب بهذا المرض يعود طفلاً رضيعاً من جديد[6].

وينطلق من ابتعاده عن أسرته من منطلق إنساني ويظهر ذلك في رسالته لزوجته: "أننا نشعر بالحرج في وجود من يعاني إعاقة عقلية أو بدنية لا نعاني منها؟ هل لاحظتِ كيف تحمرُّ وجوهنا إذا اضطررنا إلى رفع أصواتنا ليسمعنا المعوقون سمعياً؟ هل لاحظتِ مدى ارتباكنا إذا حاولنا التفاهم بحركات وجوهنا وأيدينا وإشاراتنا الغريبة مع الصم؟ هل لاحظتِ كيف نشعر بضيق داخلي إذا نظر إلينا الأعمى ونحن نحس أنه لا يرانا..." (القصيبي غ.، ألزهايمر،

---

(1) ويجد البحث أن هذه الفكرة تتكرر في أكثر من موطن في الرواية (ينظر: ألزهايمر:16، 22.. وغيرها).

(2) ينظر: ألزهايمر: 22، وص 37، وص 46.

(3) ينظر: ألزهايمر: 51.

(4) ينظر: ألزهايمر: 52.

(5) ينظر: ألزهايمر:120 – 121.

* يفترض أن تكتب بتاء مربوطة.

(6) ينظر: ألزهايمر: 123.

2010م، 123- 124)، ويرى أن الناس بطبيعتهم لا يتعاملون مع الناس الذين يرون أنهم غير طبعيين حتى وإن كانوا أحبابهم أو أقاربهم ويرى أن تلك "هي الطبيعة البشرية القاسية" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 124).

ويعقوب هنا يعقد الأمل على "المهنيين المحترفين" من ممرضين وممرضات، ويرى أن تأهيلهم لتحمل مصاعب هذه المهنة يجعلهم قادرين على العناية بـ"الخضروات البشرية"، ثم يتراجع الأمل في نفسه عندما يفكّر فيما يدور في عقول هؤلاء المهنيين ويسترجع بعض الإساءات التي تحدث من المهنيين على المرضى وقد تصل إلى الاغتصاب والضرب المبرّح حتى في الدول التي تهتم بحقوق الإنسان كالولايات المتحدة الأمريكية، ويخلص أن "الكرامة البشرية مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالعقل البشري. إذا ذهب العقل ذهبت معه الكرامة" (القصيبي غ.، ألزهايمر، 2010م، 126). وبقي يعقوب يفكّر في مصيره حتى انتهت حياته بالوفاة إثر نوبة قلبية حادة ومفاجئة، وغير مرتبطة بمرضه الأساس.[1]

المبحث الرابع: الحرية.

اهتم غازي القصيبي بالبحث عن الحرية في أغلب رواياته ويظهر ذلك من عمله الروائي الأول "شقة الحرية" الذي رسم فيه صورة لمجموعة من الشباب الخليجيين ذهبوا للدراسة في القاهرة لكنهم لم يتوقفوا عن السعي في تحقيق حريتهم هناك على مستويات متعددة: فمنهم من يسعى لتحقيق حريته في اختيار المذهب الديني مثلما يجد البحث في عبدالكريم[2]، ومنهم من يسعى لتحقيق حريته في اعتناق المذاهب الفلسفية والبحث فيها عما يناسبه فتارة يكون صوفياً، وتارة أخرى يكون شيوعياً، وتارة ثالثة يكون ماركسياً، وقد تجده وجودياً[3]، ومنهم من يسعى لتحقيق حريته في التعبير ويتنقل بين المدارس الأدبية مثل فؤاد وعبدالرؤوف[4]، ومنهم من يسعى لتحقيق حريته المالية لكونه من عائلة غنية مثل قاسم[5]، ومنهم من يسعى لتحقيق حريته في الانضمام إلى الأحزاب السياسية مثل ماجد الزبير[6].

ويرى بعض الباحثين أن الرواية "هي دعوة صارخة إلى الحرية من التقاليد البالية، والتزمت العنيف، والأحكام والأعراف القديمة التي كانت الأمة العربية مشدودة ومكبولة بها من حقبة تاريخية ممتدة، والحرية التي دعا إليها الدكتور غازي القصيبي عبر هذه الرواية الشهيرة هي: حرية الرأي والفكر، والحرية الفردية والاجتماعية، والاستقلال الحكومي، ودمقرطة النظام البيروقراطي، وحرية المؤسسات المختلفة التي تدعم الديموقراطية وتعمل لأجلها،... وفي الرواية يحاول إيجاد التوفيق بين القومية العربية والإسلام وبين الاشتراكية والإسلام ولكنه يخيب ويفشل" (علي، 2017).

ويكشف غازي أن يعقوب لم يكن يتنقّل بين المذاهب الفكرية إلا بحثاً عن الحرية وفي ذلك يقول يعقوب مخاطباً سين: "سوف أخبرك بكل ما يدور في رأسي حول الدين. أنا شيوعي وسوف أظل شيوعيا حتى أموت. ومع هذا، فأنا لا أستطيع أن اتنكر لنشأتي وتربيتي. لقد ولدت مسلما، ورضعت الإسلام مع الحليب، ولا يمكن أن أتخلص من هذا الجزء من نفسي. أتعرف لماذا اعتنقت الشيوعية؟ اعتنقتها بحثا عن الحرية. وصلت إلى الماركسية بعد مراحل فكرية عديدة، وكنت في كل مرحلة أبحث عن المذهب الذي يحمي حرية الإنسان. ثم اكتشف أنه لا يمكن أن توجد

---

(1) ينظر: ألزهايمر: 127.

(2) ينظر: شقة الحرية: 34 – 35.

(3) في قصة يعقوب مثلاً الكثير من التنقلات الفكرية. (ينظر على سبيل المثال: المرجع السابق: 35).

(4) ينظر: المرجع السابق: 56 – 57 وغيرها من المواطن التي تثبت أن هناك نقاشات بين عبد الرؤوف وفؤاد حول الإبداع والأدب ومن ذلك نقدهما لقصص بعضهما في كل فصل (ينظر على سبيل المثال: المرجع السابق: 214).

(5) ينظر: شقة الحرية: 35 – 36.

(6) ينظر: المرجع السابق: 145 – 147.

حرية حقيقية إلا في ظل الشيوعية. إذا أردت أن أصلي فسوف أصلي. وإذا أردت أن أصوم فسوف أصوم. إذا قررت أن أكون ماركسيا مسلما فسوف أكون ماركسيا مسلما. هل تفهمني؟ أريد أن يكون موقفي من الدين نابعا من اقتناعي، ومن اقتناعي وحده" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 299)، وغازي هنا يحاول أن يترجم للحرية التي يطمح لها، وحاول أن تكون من إحدى شخصياته لتكون أقرب للقارئ.

ولعل غازي حاول أن يصبغ هذه الرواية بشيء من الواقعية حينما صوّر شباب الطامحين للتحرر من كل القيود، وهذا التحرر يتناسب مع سن الشباب، ومع ثورة الشباب، ومع نزعات الشباب، ويتضح ذلك عندما اتفقوا أن يجتمعوا في شقة بعيدة عن الرقيب ليمارسوا كل ما يطمحون إليه من الحرية، وأحكم قاسم خطته ليقنع بها الأستاذ شريف، ويستأجروا شقة في شارع الدرّي في العجوزة، وفي الدور السادس، وليس فيها مصعد حتى تقل زيارات الأستاذ شريف لهم.[1]

ونجح قاسم في اقناع الأستاذ شريف في انتقال المجموعة إلى هذه الشقة، وانتقلوا إلى الشقة المتفق عليها وبدأوا في اختيار الاسم المنسب للشقة حتى استقروا على اسم "شقة الحرية" واتفقوا أنهم أتوا إلى هذه الشقة لممارسة حريتهم "جئنا هنا لممارسة حريتنا" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 104)، ووسموا هذه الشقة بأنها "جزء لا يتجزأ من الأمة العربية" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 104) وهي "شقة ذات سيادة واستقلال، تقوم على مبادئ المساوة والعدل والديموقراطية، وتؤخذ القرارات بالأغلبية، ويجوز لأي عضو طرح أي موضوع للنقاش، باستثناء الحركة السياسية في البحرين" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 104) ويظهر في هذا الدستور الذي وضِع للشقة ضمان حرية أفراد الشقة في العدالة والمساواة والديموقراطية واتخاذ القرارات وحرية القول عدى مناقشة المواضيع التي قد تجلب للشقة بعض الإشكاليات مثل الحركات السياسية في البحرين.

وما استقر هؤلاء الشباب في الشقة حتى أصر قاسم على ممارسة الحرية بطريقته الخاصة حيث أصر أن يستضيف فتيات لإقامة السهرات، وبعد رفض من المجموعة أقنعهم قاسم أن هذا من باب الاحتفال بالحرية فقط لا أقل ولا أكثر، وبدأ قاسم يرتب لهذا الاحتفال لكنه اصطدم بالواقع حيث وجد الأمر أكثر صعوبة مما كان يعتقد، وبعد جهد جهيد وجد قاسم مبتغاه، وحصل على الفتيات المقاربات لهم في السن حيث لم يتجاوزن جميعهن العشرين من العمر، وشربوا البيرة وفي رأي فؤاد- الذي يشرب البيرة لأول مرة بخلاف أصدقائه- "أن الاحتفال بشقة الحرية يبرر شرب كأس البيرة الأول" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 113)، ثم خلا كل واحد من الشباب بفتاة من الفتيات لكنهم جميعاً لم يمارسوا الجنس لصدمة الموقف[2].

ولم يغب عن البروفسور في رواية "العصفورية" أن يعرض كيف كانوا تمتعون بحريتهم وكانوا يظهرون تعاليم الدين الإسلامي، ولم يغفلوا إظهار العادات والتقاليد بدون أن تصادر حرياتهم "كنا فخورين بديننا وتقاليدنا وعاداتنا. كنا نصلي صلاة العيدين في الهواء الطلق ويأخذ المنظر الألباب. وكنا ندعو الأمريكان إلى الغداء أو العشاء فيشهقون وهم يرون خروفاً كاملاً. كنا نستدين وندعو، على الطريقة البدوية العريقة. لم نشعر قط بمركب نقص ولا سحرتنا تقاليد أمريكا" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 57).

وهو يكشف أنهم كانوا طيبين لكنهم لم يكونوا حمقى. وكانوا أبرياء ولم يكونوا أغبياء. وكانوا يرون عيوب المجتمع الأمريكي ويدركون أنها عيوب، ولم تلتبس عليهم يوماً العيوب بالمحاسن، ولم يفكروا في جعل الوطن العربي قطعة من أمريكا. وكانوا يرون سيطرة الصهاينة على الكونجرس، رغم زعمهم الديموقراطية، وكانوا يرون كيف

(1) ينظر: شقة الحرية: 101.

(2) ينظر: المرجع السابق: 123- 125.

يتعامل المجتمع الأمريكي "الديموقراطي" مع الزنوج بكل أنواع الاحتقار. ويرون كيف تعامل الأمريكان حتى مع العرب حيث كانوا يصنفون أغلبهم من خانة الملونين أو المكسيكان.[1]

ويسم البروفسور وضع الشباب العرب الذين كان يجالسهم في أمريكا أنهم لم يكونوا ملزمين بالدين "كنا من الخطّائين، ولم نكن من التوابين. كنا من المستغفرين. ((نمزّق ديننا بالذنوب، ونرقّعه بالاستغفار)). وكانت معلوماتنا الفقهية لا تكاد تذكر. لم نكن نعرف الفرق بين السني والشيعي، ولا كنا نبحث آراء المعتزلة والجهمية والأشاعرة والأباضية. كنا متسامحين. ربما كان تسامحنا قائماً على الجهل، وربما كان قائماً على الحب. لم نكن نحمل ديننا سوطاً نجلد به أنفسنا والآخرين. كنا نحمله إيماناً فطرياً صادقاً. حباً للخالق، وتعاطفاً مع مخلوقاته" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 75) ويظهر في هذا المقطع كيف كانوا متسامحين يمارسون حريتهم الدينية، وكيف كانت حريتهم تقودهم إلى الإيمان الفطري الصادق، وتجعلهم ألطف مع جميع المخلوقات.

ثم يتحدث البروفسور أنه مارس حريته في التعرف على فتاة أمريكية تدعى "سوزان شيلنج" والتي تعرف عليها في كافيتيريا الجامعة ورآها أجمل مخلوقة وأشعل لها السيجارة دون أن يشعر قبل أن تصل يدها إلى الكبريت "فوجئت الفتاة بهذا الصاروخ البشري المنطلق بالقداحة من أقصى الكافيتيريا ليشعل سيجارتها" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 58)، واستغربت هذا التصرف لأن الأمريكان في العادة لا يقومون بتصرف مثل هذا التصرف حتى مع الأصدقاء، ثم استغل الفرصة وجلس على الكرسي القريب منها وبدأ يتحدث معها، ثم عرضت عليه أن يذهب معها للتسوّق ففعل، ثم تطورت العلاقة بينهما واتضح له أنها تنتمي لأسرة غنية[2]، وعرف أنها مهتمة بالأدب الإنجليزي وتعرف من خلالها على أبرز الأدباء.[3]

انتقل للسكن في استديو، وهي كذلك. وكان مفتاحه عندها، ومفتاحها عنده، ولم يفترقا لحظة إلا للضرورة، ووصل الأمر أن كانا يمارسان الجنس مع بعضهما "لم نكن نعتبر ما يحدث بيننا فعل جنس؛ كنا نعده فعل حب" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 63)، ويشير أن الجنس لم يكن الجزء الأهم في علاقته بسوزي وإنما ما كان ما يهمه هو الحب، وكانا يقضيان معظم وقتهما في مدارسة الأدب،[4] فهي التي عرفته على شكسبير وأعماله[5]، وهي التي عرفته على جيمس جويس- والد الرواية الحديثة- وعلى أعماله[6]، ومن طريق سوزي تعرّف على المتنبي "عندما بدأت أتعرّف على الأدب الإنجليزي عبر سوزي شعرت بتأنيب الضمير لجهلي بالأدب العربي. بدأت أذهب إلى مكتبة الدراسات العربية والإسلامية في الجامعة وأقرأ أمهات الكتب... وعثرتُ على ديوان المتنبي. وقرأته. ثم أعدت قراءته. حتى حفظته بيتاً بيتاً" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 68)، وقد تأثر البروفسور بسوزي كما تأثرت هي فيه؛ وبدأت تحضّر للماجستير في الأدب المقارن، وكانت تنوي أن تكتب عن وجوه الشبه بين شكسبير والمتنبي[7]. وهو بدأ يحضّر للماجستير واقترحت عليه سوزي أن يدرس تأثير البيئة الاجتماعية في شعر المتنبي[8].

(1) ينظر: العصفورية: 56 – 57.

(2) ينظر: العصفورية: 60.

(3) ينظر: العصفورية: 61.

(4) ينظر: العصفورية: 64.

(5) ينظر: العصفورية: 65.

(6) ينظر: العصفورية: 66.

(7) ينظر: العصفورية: 70.

(8) ينظر: العصفورية: 72.

وكانت حياتهما مستقرة يسودها الحب حتى جاء يوم عيد ميلادها الثالث والعشرين، واحتفلا مع بعضهما، وذهبا في نزهة بحرية حتى منتصف الليل، وأخبرته في رغبتها قضاء يومها التالي مع والديها، وبعد قضاء سوزي اليوم بأكمله مع والديها عادت إلى شقته؛ لكنه تفاجأ أنها تحمل على جيدها نجمة داوود مطرزة بالألماس، وأشارت أنها هدية من والديها فلم يتحمل البروفسور الصدمة بأن سوزي "يهودية" وبدأ يفقد السيطرة على أعصابه وصفعها صفعة سقطت من خلالها على الأرض. وتخيّل أنها جاسوسة إسرائيلية*، ثم صفعها صفة ثانية، ثم انطلق يحطم كل ما في الشقة. وخرجت سوزي دون أن تتلفظ بأي كلمة، وبعد فترة وجد نفسه في قبضة رجال الأمن، وعلم أن سوزي انقلبت بها سيارتها وماتت، وأشار والدها أنها كانت حامل في الشهر الثالث[1].*

ويعبر البروفسور عن غضبه لانتهاك حريته في التعبير فيقول: "عدتُ إلى المصحة. وبدأ زميلك الدكتور جونسون صراعه التاريخي الجبّار لاستخراج كل الفضائح والقبائح من عقلي الباطن" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 82)، ثم يستحلف الطبيب المعالج فيقول: "استحلفك، بالله! هل يجوز هذا؟ في أي شرع؟ في أي ملة؟ هل يجوز أن تنتهك حرمة أسراري على هذا النحو المهين؟ هل يجوز لإنسان أن يمد أظفاره في أعماقي ويستخرج منها كل المخبوءات؟" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 86)، ويربط بين ما يقوم به الطبيب النفسي والمغتصب ويرى أنهما "تعتدي على أخص الخصوصيات. على أعمق الأعماق. على عورة العورات" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 86). بل يذهب أن ما يفعله الأطباء النفسيين أبشع من الاعتداء الجنسي حيث أنهم يتغلغلون في الأعماق بدون وجه حق، ولا يكتفون بتعرية الجسد بل يتجاوزون ذلك إلى تعرية الروح.[2]

ومن منطلق البحث عن الحرية يقف البروفسور على وصف لندن بلد العجائب ويسمها بأنه "جميلة جداً وقبيحة جداً. وديعة جداً وعنيفة جداً. حضارية جداً وبدائية جداً. مثالية جداً وانتهازية جداً. بريئة جداً ومنحلة جداً. مؤمنة جداً وكافرة جداً. صديقة جداً وعدوة جداً. أم التناقضات والمتناقضات. حتى سكانها يحبونها جداً ويكرونها جداً" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 167) ويرى أن فيها يجد المناضلون الفضاء مفتوحاً بدون رقابة أو مراقبين "في لندن تستطيع أن تصدر ما تشاء من المطبوعات بدون إذن من أحد. لا توجد عاصمة تتساهل هذا التساهل مع حرية الرأي" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 167) ويضرب البروفسور مثلاً لحرية الرأي في لندن بالهايد پارك كورنر ويرى أنها ليس لها مثيل في العالم ولن يوجد. ويشير إلى كثرة الخطباء وتسابقهم عليه وخاصة من العرب الذين شُغِلوا القضية الفلسطينية.[3]

وحاول غازي القصيبي أن يقف مع حرية المرأة في أكثر من موطن فنجده في عندما عرض قصة البروفسور مع سوزي أشار أنها تخبره بما تريد ولا تستأذنه وأشار "لم يكن بيننا تملك أو امتلاك. كانت هناك واجبات عليّ أن أقوم بها. وكانت تفهم ذلك. وكانت عليها واجبات، وكنت أتفهم ذلك" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 73)، وفي موطن آخر عندما وصف عفراء بأنها "امرأة متمردة. ثائرة على كل تقاليد المجتمع الذي نشأت فيه. تود إلغاء كل شيء

---

* لم يفرّق البروفسور بين اليهودية والصهيونية وحاول مصادرة حرية سوزي الدينية مما جعلها تنصدم من تصرفاته وذهبت غاضبة وحدث لها حادث وماتت.

(1) ينظر: العصفورية: 73 – 75.

* واستمر البروفسور في تأنيب الضمير على حمل سوزي منه بدون زواج، وعلى وفاتها فترة طويلة ويتضح ذلك أنه أشار إلى هذه القضية بعد ما يقارب 25 صفحة فيقول للقسيس: "لم أكن أعرف أنها حامل. لم نكن متزوجين، ولم نفكر في الإنجاب. تستطيع أن تعتبر ما حدث مجرد خطأ" (ينظر: العصفورية: 100).

(2) ينظر: العصفورية: 86 – 87.

(3) ينظر: العصفورية: 168.

فيه. خصوصاً السلطة. سلطة الأب. سلطة الأخ. سلطة الزوج. سلطة الذكر عموماً. وأوشك أن أقول إلغاء الذكر بالمرة" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 175) وكان يجمعهما كراهية إسرائيل* "كانت تؤمن أن إسرائيل أوجدت للإبقاء على الأوضاع المتخلفة في العالم العربي. كانت تؤمن أن إزالة إسرائيل هي الخطوة نحو أي تحرر" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 176). ويجد البحث أن البروفسور يشير أن المتخلفين في كل دين وفي كل الجنسيات ينظرون إلى المرأة بنوع من الاستعلاء،[1] ويرى وجوب إعطاء المرأة حريتها لكونها شريكة الرجل في بناء المجتمعات.*

وكان مشروع البروفسور في هذه الرواية أن يحرر العقول العربية وينهض بالفكر العربي، ويحرر الأوطان العربية كفلسطين وفي ذلك يقول: "كنت مهتماً بالهدفين القوميين أكثر من اهتمامي بالهدف الشخصي. قررت استخدام الأسلوب العلمي في تحقيق نهضة العرب وتدمير إسرائيل... وأنشأت بالفعل مركزي تفكير. الأول يبحث كيفية النهوض بالأمة العربية. والثاني، يبحث كيفية تدمير إسرائيل. إستغرق [كذا]* تكوين المركزين بعض الوقت. كان لابد من اختيار علماء ذوي كفاءة وخبرة ونضج. من العرب، بطبيعة الحال. أعطيت كل مركز فترة سنة لإعداد تقرير..." (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 158).

وخلص المركزان "أن الوسيلة الوحيدة للنهوض بالأمة العربية ولتدمير إسرائيل هي إقامة حكم عسكري ثوري في مختلف أنحاء الأمة العربية" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 198) ويسرد الأسباب التي توصل لها المركزين فالمركز الأول يرى: "أن المؤسسة العسكرية هي المؤسسة العربية التي الوحيدة القادرة على النهوض بالأمة العربية" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 198) لكونها هي المؤسسة الوحيدة المنضبطة، وبحكم تدريبها وتكوينها فهي عصرية وتقدمية وترحب بالإصلاحات العصرية التقدمية، وهي تتألف أغلبيتها من عامة الشعب وبالتالي ستكون متعاطفة مع مشاعر السواد الأعظم. والمركز الثاني يوفق المركز الأول على الرأي بإقامة حكم عسكري لأن إسرائيل تفوقت عسكرياً ولا يمكن مجابهتها إلا بتفوق عسكري عربي، وللنزعة المتأججة في نفوس العسكريين العرب إلى الثأر من هزيمة 1948م وتحيّن أقرب فرصة لهزيمة إسرائيل، وكذلك يستحيل على المدنيين التضحيات الهائلة والتعبئة الشاملة التي تتطلبها مواجهة إسرائيل، ولكون الحرب مع إسرائيل تتطلب تركيز المسؤوليات حتى لا تتكرر الهزيمة.[2]

أسهم البروفسور في كثير من الانقلابات في الوطن العربي فمثلاً يجد البحث ما قام به البروفسور من دعمٍ للانقلاب الذي قاده "صلاح الدين المنصور" ووقف خلفه حتى تسلّم الحكم، وكان يرى فيه أن "لديه مخططات رائعة لعربستان 48. القضاء على الفساد بكافة أنواعه. القضاء التفاوت في الثروة. إيجاد نظام برلماني حقيقي. سحق الأمية خلال سنوات معدودة" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 201)، وعندما قام البروفسور لزيارة صلاح الدين بعد فترة من توليه الحكم وجد أوضاعه وأوضاع بلاده قد تغيرت[3]. وسلبت حرية البروفسور حتى توصل البروفسور إلى قناعة أن الحرية نسبية "وفي المعتقل، يعتبر السماح لك بالذهاب إلى الحمام كلما شئت قدراً محترماً من الحرية. الأمر يذكرني بمفكر عربستاني مشهور سجنه حاكم عربستاني أكثر شهرة، فأرسل المفكر إلى الحاكم من زنزانته رسالة يقول فيها: ((كنت أطالب بحرية القول أما الآن فأكتفي بحرية البول))" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 209). وأجبره

---

* من المفارقة أنه قتلها لأنه تخيل أنها جاسوسة إسرائيلية.

(1) ينظر: العصفورية: 184.

* يجد البحث غازي القصيبي في كثير من لقاءاته المتلفزة يعرض لهذه القضية.

* يفترض أن تكون الهمزة همزة وصل لا قطع.

(2) ينظر: العصفورية: 198- 199.

(3) ينظر: العصفورية: 201 – 207، بل يجد البحث أن صلاح الدين أمر بسجن البروفسور بعد أن دعمه (ينظر: العصفورية: 208).

صلاح الدين أن يعمل لصالحه حتى امتلأت خزائن دولته[1]، وقد عانى البروفسور بعد خروجه من سجون صلاح الدين بعقدة السجن التي دعته لقراءة كثيراً مما كُتب عن السجن من كتّاب عرب وعجم[2]، واستعان بطبيبة نفسية لحل ما أصابه من هذه العقدة.[3]

وبعد أن اصطدم البروفسور في واقع صلاح الدين رأى أنه أفضل من يقوم بمشروع "نهضة الأمة العربية، ومحاربة إسرائيل" هو برهان سرور وقام بدعمه مثلما دعم صلاح الدين، ودفع له نصف مليار حتى يقيم الثورة بعد أن أخذ عليه المواثيق أن يكون نزيهاً "أقسم لي على المصحف أنه لا يطمع في الحكم. لا لنفسه، ولا لحزبه. أقسم لي أنه سوف تكون هناك انتخابات نزيهة" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 221- 222)، وبعد تولي برهان الحكم سمع البروفسور عن تغير حاله، وعندما بحث البروفسور عن الموضوع وجد أن هذه التغيرات حدثت رغماً عن برهان وأتضح أن برهان ما زال يعيش حياته السابقة التي يعيشها قبل الثورة[4]، واستفاد برهان سرور من تجارب الدول المجاورة وقرر أن يتولى وزارة الدفاع بنفسه حتى لا تتكرر التجربة[5]، ويدعي برهان سرور أن سيستحدث نظاماً للحد الأدنى للأجور، وسيشكّل (كتائب الأمل) لاحتوى طاقات الشباب وتقديم الخدمات التطوعية، وسيحاول رفع الاقتصاد بتأميم الشركات التي تأخذ خيرات البلد وترسلها إلى سويسرا، وسيعطي أهمية للعلم حيث يسعى أن يكون في كل بيت مكتبة، وسيحاول في القضاء على البيروقراطية.[6] لكن البروفسور انصدم عندما أتضح أن برهان أمر بسجنه في مدرسة والتحقيق معه والأمر بقتله بتهمة التآمر مع دول أخرى للإطاحة ببرهان.[7]

وبعد أن اصطدم البروفسور بقرار برهان سرور تعرف في سجنه على ضياء المهتدي، وكان سجيناً مثله، ولم يصدر في حقه حكم القتل بعد، وبدأ ضياء بسرد عدد من الأحاديث النبوية على البروفسور طلب منه أن يكتب وصيته، وطمنه أن الحكم في اعتقاده لن ينفذّ، واستمر البروفسور في الحوار مع ضياء بقية النهار، واكتشف أنه مؤهل أعلى تأهيل، وأنه مؤسس حزب سياسي في بلده، وصدّر حزبه في كل مكان[8]، وبعد فترة رتّب حزب النور تهريب ضياء وخرج من سجون برهان متنكراً بزي عامل نظافة، وكتن في سويسرا يرتّب لدولته الإسلامية التي يعتقد أنها ستقود العالم الإسلامي بأجمعه، واقترح على البروفسور أن يدعمه في هذا المشروع، وعرض عليه برنامجه وتعاهد بالالتزام به؛ لكن البروفسور عاب على الكتاب الذي سيعتمد عليه ضياء ولاحظ عليه بعض الملاحظات ورأى أنه لا يناسب أن يكون منهجاً سياسياً للحكم.[9] ورأى البروفسور أن يتيح الفرصة لحزب النور كما أتاحها لصلاح الدين وبرهان، ودعمه مثلما دعمهما بنصف مليار دولار.[10] وعلم البروفسور بعدما أنهى لقاءه مع ضياء أنه سيكون عرضة لاستهداف الموساد، وسوف يوقعه الصهاينة في حروب مع الدول المجاورة تستنزف جهوده، وتدمر البلدين، وسوف يتم تزويد الطرفين بالأسلحة عن طريق أطراف ثالثة[1]، وأدرك البروفسور أنه لن يستطيع تحقيق مشروعه في

---

(1) ينظر: العصفورية: 214.

(2) ينظر: العصفورية: 218.

(3) ينظر: العصفورية: 219 – 221.

(4) ينظر: العصفورية: 235 – 237.

(5) ينظر: العصفورية: 239.

(6) ينظر: العصفورية: 241.

(7) ينظر: العصفورية: 242 – 246.

(8) ينظر: العصفورية: 248.

(9) ينظر: العصفورية: 274 – 275.

(10) ينظر: العصفورية: 279 – 280.

(1) ينظر: العصفورية: 280 – 281.

التحرر العقلي والجسدي، وأكتشف أن إسرائيل تدرس الخصم وترى نقاط ضعفه وتخطط بناءً عليها.[2] وأدرك أن إسرائيل لا تخشى شيئاً مثل الديموقراطية الحقيقية، وعندما تبدأ هذه التجربة حقيقة في البلدان العربية فسوف تكون بداية النهاية لإسرائيل، وبداية نهضة الأمة العربية.[3]

وبعد اكتشاف البروفسور أن الديموقراطية هي السبيل الوحيد للخلاص من أزمة الفكر العربي، وهي منبع حرية العقول العربية، وهي أيضاً السبيل الأنجح لمحاربة إسرائيل، سعى لتحديد المكان الذي يكون منطلقاً لهذه الديموقراطية فوجد أنسب مكان في العالم العربي هو: (عربستان60) حيث تنعم بتقاليد برلمانية تعود للقرن التاسع عشر، وفيها 40 صحيفة، ولديها أحزاب شبه حقيقية، وفيها حاكم بلغ التسعين وليس لديه ذرية. فقرر البروفسور أن يجتمع مع الحاكم ويدفع له 500 مليون دولار ليتنازل عن الحكم، ويرشح بدلاً عنه رئيس الدولة الجديد بانتخابات حرة فاز فيها مفكرٌ مشهورٌ، وأُعِدت صياغة الدستور على نحو يضمن الحرية الكاملة[4]، وتم تطبيق كل ما في إعلان الأمم المتحدة عن حقوق الإنسان في عربستان 60. وسارت الأمور على ما يرام، وتذوق الناس طعم الديموقراطية[5]. لكن سرعان ما تم تدمير هذا النظام وحدث انقلاب عسكري بتدبير إسرائيلي، وعندها شعر البروفسور بخيبة الأمل التي جعلته يتساءل عن ماذا بقي له في الأرض، وفضّل أن يهرب إلى عوالم الفضاء والجن.[6]

المبحث الخامس: السلام.

عاش غازي القصيبي في فترة شهدت أحداثاً كبيرة على العالم العربي عموماً وعلى مصر على وجه الخصوص، وفي تلك الفترة تحديداً عاش القصيبي في القاهرة وعاصر تلك الأحداث عن كثب، وشهد على اضطرابات ذلك العصر من قلب الحدث، ولعل أبرز حدث حصل في حياة القصيبي ومن عاصره هو نشأة إسرائيل في قلب العالم العربي، وحربها على الفلسطينيين وتشريدهم والاستيلاء على أراضيهم، وكذلك الحروب مع الدول المجاورة كمصر. وبالتالي خاض القصيبي التجربة ودعا للسلام في أغلب رواياته، ووقف مع معاناة الشعب الفلسطيني التي لم تخلو منها رواية من رواياته تصريحاً أو تلميحاً، وكان شاهد عيان على الأحداث التي عاشتها البلدان العربية في منتصف القرن العشرين.

حاول القصيبي في روايته "شقة الحرية" أن ينقل الأحداث التي شهدتها مصر بين عامي (1954 – 1961) واستعان بأبطاله الأربعة الذين جاؤوا من الخليج؛ لينقل للقارئ رؤية محايدة للأحداث، ويعيش مع القارئ التطورات التي حدثت في تلك الفترة لحظة بلحظة، ويبدأ مع قرار فؤاد الذهاب للدراسة في القاهرة، ويصف حاله عندما بدد فكرة الغربة بأنه سيذهب إلى القاهرة، والقاهرة في نظره "عاصمة العرب، حاضرة الإسلام، كنانة الله في أرضه، وأم الدنيا... قاهرة جمال عبدالناصر، وصوت العرب، والنضال ضد الاستعمار، قاهرة الأمل، قاهرة تأميم القناة" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 18)، وتفاجأ فؤاد بردة فعل العوام من الناس من تأميم القنال ويظهر ذلك في حواره مع الأسطى محجوب الذي تنبأ بنشوب حرب من الانجليز وفرنسا على مصر، ورأيه أن روسيا ستقف مع

(2) ينظر: العصفورية: 281.

(3) ينظر: العصفورية: 283.

(4) ينظر: العصفورية: 291.

(5) ينظر: العصفورية: 292.

(6) ينظر: العصفورية: 299 – 301.

مصر، وسنتنصر مصر نظراً لقوة روسيا وما لديهم من أسلحة.[1] وهذا يكشف بعض الصراعات التي كانت في تلك الفترة على مصر ونظرة العوام للأحداث.

ويلامس فؤاد قضية الاستعمار وآثاره على الوطن العربي ويظهر ذلك في وصف لحاله عندما وصل القاهرة ولم يجد السكن المناسب فأرشده الأسطى محجوب إلى بنسيون وتعرّف فيه على جيرانه في السكن ومنهم أمريكيين وسويسريين، وكانوا دائمين الشكوى من الوضع في مصر وشعور فؤاد بالامتعاض من هؤلاء المستغلين الذين جاؤوا ليأخذوا خيرات ذلك البلد ويسخرون منه وجعلته يتساءل بقوله: "إذا كان هؤلاء الأجانب لا تعجبهم الأوضاع في مصر فلماذا يجيئون إليها؟ لماذا لا يبنون فنادقهم في سويسرا أو أمريكا؟ يأتون لإستغلالنا [كذا]* ويسخرون منا" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 32)، ويتساءل عن بعض المسميات الأجنبية التي ما زالت في مصر رغم تحرر مصر- في نظره- من الاستعمار "وماذا عن ((جاردن سيتي))؟ كيف يبقي جمال عبد الناصر على الأسم [كذا]* الإنجليزي بعد انتهاء عهد الاستعمار؟" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 20). وهو يرى أن الاستعمار لم يأتي بأي شيء مفيد للعرب "تذكر ((جرندول)) حي اللذة المحرّمة في البحرين، هدية بغيضة من هدايا الاستعمار" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 21).

وبخلاف مشاعر فؤاد تجاه جمال عبد الناصر يجد البحث قاسم معادياً للثورة والثوار، ويرى أن جمال أجرم في حق شعبه وبخاصة أبناء الطبقات الأرستقراطية، ويرى أن إلغاء الألقاب جريمة من جرائم الثورة الكثيرة، ويرى أن جمال أعطى الضباط الصلاحية في السيطرة على الشعب. أما يعقوب فإنه يرى أن نظام الثورة جاء ليحل محل نظام الملكية. ويرى أنه من الطبعي أن يكون هناك عنف واعتقالات للخونة والجواسيس- كما يراهم هو- وتعتلج في نفسه موجة هائلة من الحقد والكراهية، وموجة من النقمة والثورة على الاستعمار وما خلف في البلدان العربية ويرى أن المستعمرين تغلغلوا في كل شبر عربي و "قسموا الأمة الواحدة إلى دويلات ومقاطعات في اتفاقية سايكس/ بيكو ووزعوها على أذنابهم وأعوانهم. ولم يكفهم هذا. جاءوا [كذا]* بإسرائيل وزرعوها زرعاً في قلب العالم العربي ليضمنوا انقسامه إلى الأبد" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 52)، ويرى أن المنقذ من هذا التآمر جمال عبد الناصر ويرى أنه جاء "وجاء معه عالم جديد. والتفت آمال العرب في كل مكان حول الفارس. وتوالت الانتصارات: الجلاء، كسر احتكار السلاح، الحياد الإيجابي، السعد العالي، وأخيراً تأميم القناة. واكتشفت الأمة العربية طاقات النضال الهائلة الكامنة في أعماقها. وزحفت إلى الأمام" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 52)، وفي ظل هذه القناعات قرر أن يتطوع في خدمة الجيش المصري ضد العدوان الثلاثي* لكنه لم يُقْبَل إلا بعناء في المقاومة الشعبية في حيّه وبعد العديد من الاتصالات أخبره المسؤول أن لجنة المقاومة الشعبية في باب الخلق في انتظاره[2].

ولم يمر هذا الانتصار على العدوان الثلاثي دون احتفال في الشارع المصري وعاش فؤاد تلك اللحظة بكل سرور، وأحس أنه أصبح جزءاً لا يتجزأ من روح الصمود، وخرج ليرى جمال عبدالناصر في ميدان الأوبرا يحتفل مع شعبه ويوزّع ابتسامته عليهم، ولا يخاف من الاغتيالات، وقاسم يحاول أن يفسد فرحة فؤاد ويرى أن مصر لم تنتصر

---

(1) ينظر: شقة الحرية: 28 – 29.

* المفترض أن تكتب بهمزة وصل.

* أخطأ غازي عندما وضع الهمزة على الألف.

* المفترض أن تكتب الهمزة على الواو لأنها متوسطة مضمومة وما قبلها ساكن.

* هي حرب شنتها كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر عام 1956م (ينظر: شقة الحرية: 52- 53)

(2) ينظر: المرجع السابق: 53- 54.

على العدوان الثلاثي، وينقل الأخبار التي تقول أن القوات البريطانية والفرنسية احتلت بورسعيد خلال ساعات، ويرى أن انتصارات مصر هي من صنع الإعلام الألماني، وينقل الإشاعات اليومية عن انقلابات عسكرية ستحدث ضد جمال، بينما فؤاد وزميلي السكن يصرون أن ما حدث كان انتصاراً تاريخياً ولم يستطع العدوان أن يحقق هدفه المنشود من إسقاط جمال واستعادة القناة. ويعقوب يرى أن الاتحاد السوفيتي أنهى عهد السيطرة الأمريكية، ويرى أن خرشوف عندما هدد بريطانيا وفرنسا بالصواريخ الذّرية كان المقصود بها أمريكا.[1]

وبعد فترة من ذهاب فؤاد للقاهرة أحب فتاة مهووسة بحب حزبها السياسي و"وجد نفسه يقابلها كل يوم. ويمضي عدة ساعات في الحديث معها. لم يكن في الحديث شيء عن الرومانسية أو الأدب أو توافه الأمور. كان، برمته، حديثاً عن السياسة والثورة ومستقبل الأمة. أخبرته سعاد أنها بعثية ملتزمة" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 77). وأصرت عليه أن ينضم إلى حزبها؛ لأنها ترى أن الأمة لابد لها من حزب رائد يعلّم الجماهير، وينظمها، ويحركها. وترى أن جمال عبد الناصر زعيم سياسي عظيم؛ لكنه يفتقد الرؤية والأيدولوجية، ولن يستطيع أن يحقق شيئاً بدون حزب البعث العربي؛ لأن عواطف الناس لن تستمر معه. وتحاول أن تقنعه أنه بعثي لأنه يؤمن بالوحدة والحرية والاشتراكية فيرد عليها: "أؤمن بالوحدة لأنها تعني قيام دولة عربية واحدة. وأؤمن بالحرية لأنها تعني التخلّص من الاستعمار. لكني لا أفهم ما هي الاشتراكية. كيف أؤمن بشيء لا أفهمه؟" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 78)، وعندما استشار فؤاد صديقه عبد الرؤوف أشار عبد الرؤوف أنها: "مجرد شعارات فارغة لا تعني شيئاً. اشتراكية الحالمين" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 79)، ويرى عبد الرؤوف أن الإسلام يغني عنها لكونه منهجاً متكاملاً شاملاً ينظم كل شيء في الحياة[2]، وانضم فؤاد للحزب بعد إصرار سعاد لكنه لم يستطع أن يكمل فيه لاكتشافه أن الحزب يصادر حرية الفرد.[3]

لم يغفل فؤاد اتحاد مصر مع سوريا الذي حدث عام 1958م، فوصف ما حدث وكأنه معجزة في حلم "تتابعت الأحداث وتلاحقت. حشود في الميادين السورية. رئيس جمهورية سوريا يصل إلى القاهرة. اتفاق مبدئي على الوحدة بين مصر وسوريا. تصديق المجلس النيابي السوري. تصديق مجلس الأمّة المصري. استيفاء الشعبين. قيام الجمهورية العربية المتحدة. انتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للدولة الفتيّة الجديدة. ويجن العالم بأسره. تجن الجماهير فرحاً. ويجنّ المستعمرون وأعوانهم وإسرائيل غضباً" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 87).

ويصف فؤاد عنف الشارع المصري في تقبّل هذه الفكرة ويتضح ذلك في موقف الأستاذ شريف[4] الذي يرى أن الجماهير لا تؤيد هذا التحوّر، ويرى أن من يحتفل بهذا الموقف الحكومة فقط "هل رأيت أحداً يحتفل هنا سوى الحكومة ومنظماتها؟" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 88)، ويرى أن أبناء الشام سيكونون منافسين للمصريين. وكذلك يتضح رأي الشارع المصري في حوار فؤاد مع ديدي التي ترى أن أبناء الشام جاؤوا إلى مصر لأخذ خيراتهم[5]. ولم يغفل فؤاد عن وصف سعاد وتلقيها خبر حل الحزب البعثي في سوريا نزولاً عند رغبة جمال عبد الناصر الذي اشترط حل الحزب، ويصف أنها ما زالت مقتنعة بالحزب[6]. لكن هذه الفرحة لم تطل كثيراً حيث مات الاتحاد بين مصر وسوريا "قتلت الوحدة ودفنت. لن تقوم للوحدة قائمة بعد اليوم" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 459).

---

(1) ينظر: شقة الحرية: 54 – 56.

(2) ينظر: شقة الحرية: 79.

(3) ينظر: شقة الحرية: 132 – 135.

(4) ينظر: شقة الحرية: 87.

(5) ينظر: شقة الحرية: 122.

(6) ينظر: شقة الحرية: 90.

انتقل فؤاد من حزب البعث إلى حركة القوميين العرب مع رفيقه ماجد الزبير الذي يشاركه الإيمان بالقومية العربية، وبزعامة جمال عبد الناصر، ويرى مثله أنه لا يمكنهما اعتناق مذهباً يتعارض مع الدين الإسلامي.[1] وكان انتقال فؤاد إلى حركة القوميين العرب بعد محاولات ماجد الزبير في إقناعه بأن الحركة تختلف عن حزب البعث في كونها لا تتمتع بالروح العدائية ضد جمال عبد الناصر، بل هي تعتبر جمال قائدها الفعلي، بالإضافة أنها أدق في تحليلها لطبيعة الصراع القائم في الأمة العربية من الحزب، وقد جاءت لمحاربة الصهيونية فبدأت بالثأر، ثم رأت أن الثأر لن يتحقق من غير تحرر من الاستعمار، وبالتالي رأت ضرورة أن يكون هناك وحدة شاملة للأمة العربية.[2]

وعرض الراوي لموقف قاسم من حركة القوميين العرب ويرى أن ما يقوم به ماجد وفؤاد هو تآمر على الدول العربية، ورد ماجد أنه يتحدث عن "مستقبل الأمة العربية. عن تحررها. عن وحدتها. عن استعادة فلسطين" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 221)، ويرى قاسم أن تترك الحكومات للحكام الشرعيين. وأن على الفرد أن يركز في تخصصه لينفع بلده ومجتمعه، وكذلك يجب على الفرد أن ينظر للجانب المشرق في الحكومات العربية وخاصة دول الخليج، ويرى أنه لو تحققت الوحدة العربية فإن ذلك يعني أن تُوَزَع مخصصات الشعوب الغنية على الشعوب الأخرى الفقيرة.[3]

ومع اختلاف قاسم مع ماجد في الرأي يلاحظ البحث أن ذلك ما زاد ماجد إلى حماسة "كل يوم يمر يزيد حماسة ماجد لحركة القوميين العرب وإصراره على ضم فؤاد إليها" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 270)، ويرى أنها المكان الطبيعي لفؤاد، ويزعم أنهم في الحركة كلهم ناصريون، ويقترح عليه أن يقابل الدكتور أحمد الخطيب، وفي اللقاء عرض أحمد الخطيب أن الحركة جاءت قبل جمال عبد الناصر، وأنها تعتبر نفسها جسراً بين الزعامة والأمة، ويؤمن أن العدالة الاجتماعية لن تتحقق في ظل نظام رأسمالي مستغل، ولابد من صيغة تجمع بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، ويرى أن مناقشة الاشتراكية يجب أن يؤجل إلى ما بعد محاربة الاستعمار، ويشير أن هذه الحركة تنفتح على كل النظريات والآراء والمذاهب، وشعاراتهم صنعتها التجارب الجماهيرية، وهي قادرة على التطور والتغيير، ويرى ضرورة العناية بالأمة العربية من المحيط إلى الخليج ولا ننظر نظرة محدودة إلى دولة دون دولة أو منطقة دون منطقة، ويرى أن الحركة لا تتعارض مع الإسلام؛ بل يرى أنها مستمدة منطلقاتها منه فالإسلام يدعو للوحدة والتحرر ورد العدوان بالعدوان، وهذه هي أفكار الحركة (وحدة، تحرر، ثأر).[4]

وما زال ماجداً يصر على فؤاد أن ينضم للحركة ويدعوه إلى حضور المؤتمر الذي سينعقد بحمدون، ويرى ماجد ضرورة حضور فؤاد لأنه سيتولى أمر الحركة في أمريكا وينبغي عليه أن يتعرف على قادة الحركة، وبعد إلحاح ماجد يوافق فؤاد الحضور.[5] لكنه بعدما ذهب للمؤتمر تندّم وخرج وفي قلبه شيء من المرارة، واتضح له أن الحركة لا تختلف كثيراً البعث "هذه الحركة حزب فيه كل ما في الأحزاب من صراعات، وأجنحة متناحرة، ومؤامرات صغيرة وكبيرة. والقيادة الجماعية التي تتباهى بها الحركة قد توجد في أذهان أتباعها ولكنها لا توجد في الواقع... الروح الديموقراطية التي تتغنى بها الحركة لا توجد" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 435)، ويتنبأ فؤاد أن هذه الحركة رغم اندفاعها الناصري إلا أنها ستصطدم بأولويات جمال عبد الناصر إن عاجلاً أو آجلاً لكونها تبحث عن السلطة، وذُهِل فؤاد من كثرة تردد الماركسية واللينينية والاشتراكية العلمية أكثر من الإسلام؛ فالإسلام لم يذكر في

(1) ينظر: شقة الحرية: 145 – 147.

(2) ينظر: شقة الحرية: 219 – 222.

(3) ينظر: شقة الحرية: 220 – 222.

(4) ينظر: شقة الحرية: 270 – 274.

(5) ينظر: شقة الحرية: 428 – 429.

كل الجلسات ولا مرة واحدة، وعندما حاول الربط بين القومية والإسلام قوبلت محاولاته ببرود وهجوم عنيف، وخلص فؤاد من هذه التجربة أنه اعتبرها سجن فكري على الرغم من تعليق الآمال عليه في عقد المؤتمر الأول في أمريكا عليه وتوليته مسؤولية الحركة هناك، وإعطائه أسماء وعناوين المنتمين للحركة في أمريكا[1]، وخرج أن هذه الحركة لا تملك سوى الشعارات والمنشورات[2]، وقرر فؤاد في نهاية المطاف أن يحرق الوراقة المحتوية على أسماء الحزب في أمريكا ويحرق معها الانتماء لهذه الحركة[3].

ولم يغفل الراوي من وصف حال يعقوب وتقلبه بين المذاهب والآراء بحثاً عن السلام ومن ذلك تحوله من ثائر بلا نظرية إلى ثائر له نظريته العلمية، وتأثير أستاذه صبحي فرحات في بعض توجهاته، والحوارات الطويلة بين يعقوب وأستاذه، ومن خلاله اعتنق الفكر الماركسي[4]. وأصبح داعياً للماركسية حتى مع الطبقة الدنيا من المجتمع[5]. ومن منطلق ماركسي يحلل يعقوب ما حدث في العراق في تلك الفترة من ثورة ومقتل الملك فيصل وسقوط نوري السعيد عام 1959م ويرى أن العراق كانت بلداً إقطاعياً، ويرى أن الفعل يولّد ردة فعل مساوياً في القوة معاكساً في الاتجاه وهذا ما حدث حين وُلِد الحزب الشيوعي العراقي، ويرى أن عبد الكريم قاسم أدرك عمق الجذور الشعبية للشيوعية وتحالف معهم.[6]

وينتقل يعقوب إلى اعتناق الفكر الوجودي بتأثير من أستاذه صبحي "وتلقف يعقوب الفكرة الجديدة بحماسة. أخذ يقرأ كل ما تقع عليه يده من كتابات عن الوجودية. كلما قرأ ازداد نهماً. دخل عامل آخر في تكوينه الفكري، وأصبح يعد نفسه الآن ماركسياً/ فرويدياً/ وجودياً" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 163)، وجراء هذه الوجودي النواسية في نظره أصبح مفلساً دائماً وناقم على المجتمع البرجوازي، وأصاب بمرضٍ جنسي قاد أعضاء الشقة لمحاكمته[7]، مما جعله يحاسب نفسه ويغير كثيراً من مفاهيمه فتغيرت نظرته عن جمال عبد الناصر وأصبح يراه الآن أنه لم يستطع أن يحل قضية الفقر في مصر وهو يزعم أنه سيحل قضايا الأمة العربية، وأصبحت القومية العربية التي يدعو لها جمال ستارة يمارس تحتها كل الظلم والاستبداد.[8] وقاده هذا في أن يفكر بالانضمام إلى الحزب الشيوعي سراً ويبقى أمام الناس يمارس الوجودية النواسية للهروب من أعين الرقيب[9].

أصرّ يعقوب على الانضمام للشيوعية مع علمه بالمخاوف التي تنتظره "كان يدرك أنه يخاطر بحريته، وربما بحياته" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 201)، وتواصل مع أستاذه صبحي من البحرين برسالة يخفي فيها بين السطور السر الذي يريد أن يصل إليه لمعرفته أن الرقيب في مصر شديد الرقابة، وقد يفتح الرسائل الواردة دون خجل أو حياء وأرسل ما نصه "فضّلت أن أرسل إليك هذه الرسالة من البحرين لأسباب لا تخفى على فطنتك. وهي تتعلق بموضوع هام جداً مرتبط بمستقبلي. أرجو أن تكتب لي باسم شخص تثق فيه لأبحث معه الموضوع. ولكن أرجو أن ترسل الرد إلى البحرين على عنوان الوالد الذي سيقوم بإرساله لي بطريقته الخاصة" (القصيبي غ.، شقة الحرية،

(1) ينظر: شقة الحرية: 435 – 437.

(2) ينظر: شقة الحرية: 458.

(3) ينظر: شقة الحرية: 463.

(4) ينظر: شقة الحرية: 94 – 97.

(5) ويضح ذلك في حواره مع شوشو حين يدعوها للثورة الاشتراكية. (ينظر: شقة الحرية: 118- 121).

(6) ينظر: شقة الحرية: 154 – 175.

(7) ينظر: شقة الحرية: 174 – 184.

(8) ينظر: شقة الحرية: 194 – 196.

(9) ينظر: المرجع السابق: 201.

1994م، 201)، وأرشده صبحي إلى ما يريد، واتصل يعقوب بالمشار إليه وتقابلا في شقة صغيرة وتباحثا الأمر وأشار عزت إلى وضع الشيوعيين في مصر بقوله "ألا تعرف وضع الشيوعيين في مصر هذه الأيام؟ الرئيس يهاجم خرشوف وخرشوف يهاجم الرئيس. العلاقة مع الاتحاد السوفيتي من أسوأ ما يمكن. كل الشيوعيين المعروفين أصبحوا في السجون يتعرضون لأقصى أنواع التعذيب" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 202)، ويصرّ يعقوب أنه مستعد لمواجهة المصير ويشعر أنه بدأ طريق المجد أو السجن أو القبر.[1]

بدأ يعقوب عمله مع حزبه الثوري الشيوعي، وكان مسروراً وهو يتعلّم صناعة قنابل (المولوتوف) ويفكّر لو استطاع أن تثوير الجمهور وأُعطي كل واحد قنبلة ليفجرها في رموز الاستغلال في يوم واحد ليسقط الطغاة، وينتصر الكادحون، ثم يدرك أن الرأسماليين يعون ذلك ولذلك يقفون حائلاً بين الجماهير المقهورة وقدرها الثوري، ويرى أن الرأسماليين يدعمون الثورات حتى يسيطروا على الثائرين، والمنابر الدينية تجنّد للهجوم على الإلحاد والهدف الحقيقي هو الهجوم على الثورة، ويرى أن الرأسماليين يدركون أن عدوهم الحقيقي هي الثورة الشيوعية، أما باقي الأخطار فهي من صنعهم ويستطيعون القضاء عليها متى ما أرادوا.[2]

ويدرك يعقوب ما يواجه الحزب من مخاطر وكيف أنهم يأخذون أقصى درجات الحذر، وكيف تتم طباعة المنشورات وما يحتاج من جهد وسريّة "جهاز ((الاستنسل)) يجب أن يكون في مكان لا يعرفه إلا قلة، وكلما قلّ العدد زاد الأمان. والجهاز يحتاج إلى آلة طابعة، وحبر، وورق، لا يجوز أن تُشترى من مكان واحد أو في وقت واحد أو بواسطة شخص واحد" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 276)، ويدرك أن مرحلة التوزيع من أخطر المراحل، ويدرك أن "أي غلطة في أي مرحلة تؤدّي إلى سنوات في السجن" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 276)، ويلاحظ يعقوب عن امتناع الأعضاء عن إجاباته وأنهم سيرتبون له لقاء مع منظر الحزب في مصر (الأستاذ سين).[3]

قابل يعقوب (الأستاذ سين) وبحث معه علاقة الشيوعية بالدين الإسلامي، وعلاقة الشيوعية بالأخلاق، وعن علاقة الحزب بالحرية ويشير يعقوب أنه اعتنق الشيوعية من أجل الحرية فيقول: "وصلت إلى الماركسية بعد مراحل فكرية عديدة، وكنت في كل مرحلة أبحث عن المذهب الذي يحمي حرية الإنسان. ثم اكتشفت أنه لا يمكن أن توجد حرية حقيقية إلا في ظل الشيوعية" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 299)، وفسر (الأستاذ سين) كيف نشأت مقولة "الدين أفيون الشعوب" في الحزب، ويرى أن المؤسسات الدينية تمارس الدين بشكل فيه نوع من التخدير للناس، ويضرب مثلاً على الخطب التي بدلاً من أن تكون داعية لحقوق العاملين ومدافعة عن المضطهدين، ودعوة إلى التخلص من الاستعمار تجدها تتحدث عن القبر وعذاب القبر...إلخ، ويرى أن المؤسسة الدينية متحالفة مع المؤسسات الحاكمة.[4]

يبدأ يعقوب مهمته الحزبية الأولى، وبدأ ينشر المنشورات التي تدين الإقطاع الذي عاد إلى الريف بعد الإصلاح الزراعي. وتطالب هذه المنشورات بحقوق الفلاحين، وحل الجمعيات التعاونية، وإعطاء الفلاحين الحق في إنشاء نقابات، وكانت مهمة يعقوب نثر المنشورات من السيارة قبيل منتصف الليل، ويفكر في نفسه عن أصداء هذه الحركة، وكيف أن الرأسماليين سيغضبون، وأن رجال الأمن سيستنفرون وهم يرون هذه المنشورات على كل

(1) ينظر: شقة الحرية: 203.

(2) ينظر: شقة الحرية: 274 – 275.

(3) ينظر: شقة الحرية: 276.

(4) ينظر: شقة الحرية: 299 – 302.

رصيف، ويرى في قرارة نفسه أنه الآن بدأ مرحلة النضال الحقيقي ويقسم على نفسه أنها ستستمر معه طوال حياته.[1]

واستمر يعقوب في تنفيذ المهام الموكلة إليه من الحزب وينتقل من مهمة إلى مهمة، حتى أوكل إليه مهمة أصعب من مهماته السابقة فهو الآن سيستلم المعلومات من رفيق يعمل في مجمع حلوان للحديد والصلب، ثم يصوغ البيان ويعطي المسودة لرفيق آخر ليتولى مهمة الطباعة، وقام بهذه المهمة بسرية وأخذ المظروف من الرفيق المتفق عليه بعد أن قال كلمة السر، ثم عاد مسرعاً إلى القاهرة، وبدأ في صياغة البيان حتى أصبح عليه الصبح، وقبيل الظهر استقل تاكسي وذهب إلى ميدان الأزهار في باب اللوق ووقف ينتظر الرفيق الذي سيأخذ المسودة منه، وعندما جاء الرفيق وقالا كلمة السر المتفق عليها وقعا في قبضة رجال الأمن وذهبوا بهما إلى مكان مجهول.[2]

وبعد خروج يعقوب من السجن تفاجأ أصحابه من شكله "حقيقة الأمر أنهم أبصروا شبحاً لا تربط بينه وبين يعقوب رابطة. ذبل الوجه الوسيم، وغارت العينان، ونبتت تحتهما بقعتان من الليل، وانتشرت الشعيرات والدمامل في كل مكان، أصيب الجسم بالهزال الشديد واعترت اليدين هزّة عصبية دائمة" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 378)، وعرض لأصحابه ما لاقاه في السجن وكيف أن الجنود استخدموا معه الحرب النفسية حتى شعر بالانهيار التام، ثم أُمِرَ أن يغادر مصر خلال ثلاثة أيام فقط بعد العفو عنه لأنه شارك في القتال مع الشعب المصري أثناء العدوان الثلاثي. وعندما ذهب للبحرين وجد نفسه ممنوعاً من الدخول فأُرجِعَ إلى القاهرة بعد يومين ولم يسمح له بالدخول أيضاً، فأشار عليه الأستاذ شريف أن يذهب إلى بيروت ورأى أنها الخيار الأفضل له، وتم الحجز له على الطائرة المغادرة لبيروت، وأعطاه صديقه قاسم ظرفاً منتفخاً وهو يهمس "الرأسمالية تموّل الشيوعية" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 282).[3]

وبعد شهرين من إبعاد يعقوب من مصر تفاجأ سكّان الشقة بقدوم يعقوب من بيروت، وسرد للمجموعة كيف أن ماجد أجرى الاتصالات ببعض الناشطين ليخرج يعقوب من أزمته، ويذكر دور غسان كنفاني في إقناع جمال عبد الناصر شخصياً بالعفو عن يعقوب عن طريق كمال جنبلاط الذي تجمعه مع جمال صداقة خاصة، وسُمِح ليعقوب أن يعود ليكمل دراسته الجامعية فقط وبشرط ألا يمارس أي ناشط سياسي.[4]

ويقف يعقوب بعد هذه التجربة التي مرت عليه وقفة تأمل مخلوطة بالألم "أين المسحوقون الذين ناضل من أجلهم؟ أين دول البروليتاريا؟ هل تدخّل الاتحاد السوفيتي لانقاذه؟ هل احتجّ السفير السوفيتي لدى جمال عبد الناصر؟ لم يحدث شيء. كل الأمور تدور بوتيرتها المألوفة. الفلاحون يتعاملون مع الاقطاعيين الجدد بخنوع، كالعادة. والعمّال في مجمع الحديد والصلب يخضعون للإدارة، كالعادة... العالم يمشي كما كان قبل أن يدخل ذلك الجحر المظلم الذي يمتزج فيه الليل بالنهار" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 401)، ويظهر في هذا الحوار الداخلي (المونولوج) كيف أتضح ليعقوب أنه كان ضحية لمجتمع يدفعه للمقاومة دون أن يرد الجميل بالجميل.

وفي أثناء بقاء يعقوب في بيروت أتضح له حالة الفصام التي تعيشها الأمة العربية، ورأى كيف أن الصحف الناصرية تتحدث عن العمّال والفلاحين، بينما يوضع كل من يتبنى قضايا العمال والفلاحين في السجون، وكيف أن الإقطاعي العشائري الاشتراكي يتدخّل في حل قضية الشيوعي، وكيف عاش هو في بيروت على أموال قاسم

(1) ينظر: شقة الحرية: 336.

(2) ينظر: شقة الحرية: 361 – 362.

(3) ينظر: شقة الحرية: 379 – 382.

(4) ينظر: شقة الحرية: 395 – 396.

(الرأسمالية) كما أشار قاسم وهو يداعبه. فقرر يعقوب أن يترك الحزب الشيوعي ويعود لوجوديته النواسية.[1] ويُبْقِي في نفسه ما رأه بأم عينيه عن المجتمع العربي وما يحمله من تناقض. ففي أم الدنيا- كما يقول المصريون- يرى كيف يحكم العسكر "يملك الضباط كل شيء. وأقصد كل شيء حرفياً: الحكومة، والمجلس، والاتحاد القومي، والجرائد، وعمارات الإنجليز والفرنسيين، ومديريات التحرير، والفتيات الراغبات في الزواج... ويملكون السجون الانفرادية" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 420)، وفي لبنان يجد في كل جبل امبراطورية مستقلة تحكمها عشيرة ويحكم العشيرة شيخ ولكل شيخ جيش من سيء الأخلاق وأقوياء البنيان، ويرى أن ما هو موجود في المقررات عبارة عن نفاق ولا يعطي الصورة الحقيقة للمجتمعات العربية.[2]

ولم يغفل غازي القصيبي البحث عن السلام على المستوى العربي والدولي ويظهر ذلك في روايته "العصفورية" فيجده البحث يناقش الحرب الأهلية التي حدثت لبنان بطريقة ساخرة، ويرى أن الحروب الأهلية قد تحدث في أمريكا أو إسبانيا لوجود كثافة سكانية بينما لبنان ليس فيها الكثافة السكانية[3]، وكذلك طموحه أن يكون العالم العربي دولة واحدة وشعب واحد بدلاً من كونه شعوب[4]، ولم يغفل عن الإشارة إلى محرقة هتلر لليهود[5].

وقد عرض غازي عبر البروفسور أن البحث عن السلام ليس خاصاً بالعرب فيجد البحث عرض البروفسور لبعض المشاريع الغربية للبحث عن السلام ومن ذلك انتحار أرنست همنجوري لكونه لم يحقق مشروعه[6]، وجيمس جويس يحقق السلام الداخلي بالمكوث على كتابة رواية من رواياته سبع سنوات والأخرى سبعة عشر عاماً ليتحدى النقاد[7]، وديجول يبحث عن السلام في عشيقته الإنجليزية[8]، وكذلك آيزنهاور حينما عشق سائقته الإنجليزية[9]، واللوبيات الصهيونية تشعر بالسلام حينما "تمرح وتسرح في أمريكا" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 44)، والهنود الحمر يبحثون عن السلام في أمريكا[10]، حتى العرب عندما سكنوا الغرب وفي أمريكا تحديداً بحثوا عن السلام ويظهر ذلك في محاربة إسرائيل في عقر دارها وبكل ضراوة ودعوة الكاتب اليهودي ألفرد لينثال "عدو إسرائيل الشهير" وحمايته من الصهاينة الذين هددوه إذا ألقى محاضراته في الكامبس، ونجحوا في إقناع الجامعة في إلغاء بعض مطالب الصهاينة.[11]

وينتقد البروفسور بطريقته الساخرة المجتمع العربي المتعلّق بالمجتمعات الغربية بحثاً عن السلام وهو يكرر بين فترة وأخرى مصطلح من نحته "عقد الخواجات" ويرى أنه مرض قاتل لكنه غير مميت "عقدة الخواجة وباء عالمي كالإيدز أجارك الله" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 20)، ويرى أن بعض الحكومات العربية تعاني من

---

(1) ينظر: شقة الحرية: 400 – 402.

(2) ينظر: شقة الحرية: 420 – 422.

(3) ينظر: العصفورية: 16.

(4) ينظر: العصفورية: 16.

(5) ينظر: العصفورية: 17، وأشار في (ص: 19) إلى كره اليهود ومعاداة السامية، وعندما قتل البروفسور سوزي قتلها لأنها يهودية (ينظر: العصفورية: 73)، وكذلك أشار لهتلر ومحرقته في (ص: 101)، وكذلك عندما قتل البروفسور عفراء لأنه شك أنها جاسوسة لإسرائيل (ينظر: العصفورية: 178)...وغيرها.

(6) ينظر: العصفورية: 31 – 34.

(7) ينظر: العصفورية: 67.

(8) ينظر: العصفورية:41 – 42 وأشار إلى الحرب العالمية الثانية التي شارك فيها ديجول.

(9) ينظر: العصفورية: 42.

(10) ينظر: العصفورية: 69.

(11) ينظر: العصفورية: 55.

"عقدة الخواجات" ومن ذلك حكومة إسماعيل الخديوي ويشير أنه تعلّق إحدى الغربيات* لكنه لم يحصل منها على ما كان يصبو إليه "الخديوي إسماعيل كان يريد أن يجعل مصر قطعة من أوربا... والخديوي إسماعيل لم يكن الوحيد الذي قتلته أوربا غراماً" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 17)، ويرى أن "أنور السادات، الله يرحمه! كان كل خواجة صديقه، بل عزيزه" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 27) ولم يقتصر الإعجاب بالغرب من قبل الحكومات بل عرض البروفسور لإعجاب بعض المفكرين والمثقفين العرب للغرب مثل رفاعة رافع الطهطاوي[1]، طه حسين الذي "أراد تحويل مصر إلى قطعة من البحر الأبيض المتوسط، الجانب الأوربي" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 20)، ومي زيادة[2]...وغيرهم ويرى أن "كل مفكّري عربستان في القرنين التاسع عشر والعشرين عانوا من عقدة الخواجة. حتى محمد عبده. لا! لا! لا! لا أقصد المغني المشهور. صديقي. أقصد الشيخ المفتي. الأستاذ الإمام...إلخ" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 28)، ويرى أن من شدة الغزو العربي إلى أوربا تحولت ما يشابه البلدان العربي "لا عجب إذا أصبحت بعض مناطق أوربا الآن في مستوى عربستان من حيث النظافة والخدمات" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 29).

وعرض البروفسور لبحث الأدباء العرب عن السلام في حب مي زيادة "ميّ، يا حكيم، شخصية عجيبة غريبة تستحق دراسة لم تكتب بعد" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 21) ويرى البروفسور أن "أدباء مصر وشعراؤها كافة أحبوا ميّ. بدون استثناء... لا أعتقد أنه وجدت في التاريخ كلّه قبلها امرأة ألهمت هذا الحشد الهائل من المبدعين... حتى القاضي العجوز والوقور، إسماعيل صبري، أصابه الفيروس" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 21)، وينقل البروفسور تعلّق ميّ بجبران خليل جبران والمراسلات التي تمت بينهما[3]، ويعرّض أن ميّ عاشت نهاية حياتها حياة كئيبة مأساوية "موضوعنا ميّ. الفتاة التي عشقها أعظم عباقرة العصر قضت بقية أيامها في عزلة ومرض ووحشة. قضت سنة هنا [يقصد في العصفورية]. في هذا المكان العتيد. أدخلوها ظلماً وبهتاناً بتهمة الجنون. حقيقة الأمر، أنها لم تكن مجنونة عندما دخلت، وإنما كانت مجنونة عندما خرجت. كيف تفسّر هذه المعضلة، موت امرأة كهذه شقية وحيدة؟" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 26).

ويرى البروفسور أن السلام يستحيل في هذا العالم ويرد على الذين يزعمون أن وضع الإنسان في تحسن مستمر ويبرهنون على ذلك بزيادة معدل الحياة، وانخفاض نسبة الوفيات بين الأطفال، وزيادة التعليم بقوله: "كنت، ذات يوم، مثلك. كنت أظن أن البشر يسيرون نحو الأفضل. ثم صحوت من نومي. خذ ما حدث في هذا القرن [العشرين]، القرن الذي بلغ فيه التطور ذروته. بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، سقط أكثر من 70 مليون قتيلاً. أضف الحروب الفراطة [يقصد بها السابقة]، وسوف يرتفع الرقم إلى 100 مليون إنسان. أين التقدم يا سايكاترست؟! هتلر قتل أولاد عمنا بالغاز. لا يهم العدد. مليون أو 6 ملايين. قتل الناس بهذه الطريقة عمل إجرامي بشع" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 148)، ويسأل ما الفائدة أن يطول عمر الإنسان حتى يصبح مكروهاً منبوذاً يقضي أيامه الكئيبة في مأوى المسنين؟ ويرى أن انخفاض نسبة الوفيات بين الأطفال وأكثرهم غير شرعيين، ويقوم بتربيتهم أحد الوالدين، ويتساءل عن مستقبل هؤلاء الأطفال، ويرد على مزاعم الناس الذين يقولون: اختفت

---

* ويشير إلى قصة حب إسماعيل لـ"أوجيني دي مونيتو كوتيسه" المشهورة وما تبع ذلك من محاولات التقرب إليها ولو على حساب شعبه، ويروى أنها أدخلت مصر في ديون. (ينظر: التقرير المتلفز من قناة ستيب فيديوغراف بتاريخ 2021/06/04).

(1) ينظر: العصفورية: 20.

(2) ينظر: العصفورية: 21.

(3) ينظر: العصفورية: 25 – 26.

الأوبئة والطواعين بقوله: "الإيدز يهدد الملايين في أفريقيا وحدها. وتقول لي الأوبئة انتهت" (القصيبي غ.، العصفورية، 1996م، 149)، ولم ينسَ الأطفال الذين يموتون جوعاً حول العالم.[1]

وبعد أن حاول البروفسور إقامة مشروعه من في نشر السلام في العالم، توحيد الوطن العربي، واستئصال إسرائيل من جسد الأمة العربية، وجد الصهاينة له بالمرصاد وأفسدوا كل مخططاته، وزرعوا الفتن في الوطن العربي، حتى ينشغل العرب عن محاربتهم، حتى الدولة العربية التي أسسها البروفسور لتكون نواة مشروعه التوحيدي للوطن العربي "عربستان 60" والتي أسسها على الحرية والديموقراطية وجعل قادتها من عِلْيَة القوم فكرياً، لم تترك في حالها ونجح الصهاينة بقيادة موشيه بن نمرود بن عادياء في تدبير انقلاب عسكري بخمسة ملايين دولار فقط، بينما يجد البروفسور أنه خسر مليار ونصف لإقامة دولته، فوجد أنه من الأفضل له أن يبتعد عن هذا العالم الذي توصل لقناعة أن يستحيل أن يكون حاملاً للسلام، ووجد نفسه حالماً بالسلام فقط.[2]

وقد أثرت حرب الخليج الثانية على غازي القصيبي كما أثرت في غيره، فيجد البحث إشارات متعددة فمثلاً في "شقة الحرية" يبحث غازي ثورة العراق ومقتل الملك فيصل، والخلاف الذي دبّ بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف[3]، وتعتبر هذه من بعض جذور صدام حسين السياسية، وتكليف فؤاد من قبل حركة القوميين العرب بمعرفة آراء صدام وميوله يقول ماجد لفؤاد "في القاهرة لاجئ بعثي عراقي اسمه صدام التكريتي، أحد الذين حاولوا اغتيال عبد الكريم قاسم. لا يزال شاباً صغيراً ومع ذلك يعتقد الإخوان في الحركة أنه سوف يكون، في القريب، من ألمع القادة الحزبيين. من الضروري معرفة آرائه وميوله" (القصيبي غ.، شقة الحرية، 1994م، 383). ويجد البحث تلميحات لشخصية صدام حسين في عدد من الروايات كـ"العصفورية" حينما رسمت شخصية برهان سرور ودولته "عربستان 49" وقبض عليه في "عربستان 48" بتهمة التحريض على قلب نظام الحكم[4]، وأبرز من ذلك ما ورد في رواية "سعادة السفير" وشخصية همام بوسنين" الذي حاول أن يقتل يوسف مراراً وإغارة همام على دولة يوسف "الكوت".

لم يغفل غازي القصيبي البحث عن السلام الداخلي في روايته وهذا ما يجده البحث في باقي روايته فمثلاً رواية "7" يجد البحث كل شخص من الشخصيات يسعى لتحقيق السلام الداخلي بطريقته، وأبو شلاخ في رواية "أبو شلاخ البرمائي" يسعى لتحقيق السلام الداخلي عن طريق الكذب حتى إن أكاذيبه قتلته في نهاية المطاف، ويعقوب العريان في رواية "حكاية حب" يبحث عن السلام الداخلي في حبه لروضة حتى الموت، وروضة في رواية "رجل جاء.. وذهب" تبحث عن سلامها الداخلي في حبها يعقوب والسيطرة عليه قدر الإمكان، وسلمى في رواية "سلمى" تبحث عن السلام الداخلي لذاتها ولتاريخ الأمة العربية فتكمل الأحداث كما تريد هي في خيالها، ويوسف في رواية "سعادة السفير" يبحث عن السلام الداخلي بتنظيمه اغتيال الطاغية همام بوسنين، وضاري ضرغام الضبيع يبحث عن السلام الداخلي في دراسته الإنسانية وفي زواجاته المتعددة حتى يجدها عند زوجه الحالية "غزلان"، ويعقوب في رواية "ألزهايمر" يبحث عن السلام بعد أن أصيب بداء ألزهايمر ويبدأ يفقد الكثير من المعلومات حتى عطر زوجته المفضل.

مناقشة النتائج.

تشير نتائج دراسة المنطلقات الإنسانية في روايات غازي القصيبي إلى النتائج التالية:

---

(1) ينظر: العصفورية: 149.

(2) ينظر: العصفورية: 297 – 301.

(3) ينظر: شقة الحرية: 153 – 157.

(4) ينظر: العصفورية: 209 – 210.

1- شغل البعد الإنساني غازي القصيبي في كتاباته ومن ذلك أعماله الروائية.
2- جعل غازي من الفقر مادة خصبة في رواياته.
3- صنع القصيبي من المرض والعجز مادة ثرية في أعماله الروائية.
4- شُغِل غازي القصيبي بترسيخ مبدأ الحرية في المجتمعات العربية.
5- سعى غازي القصيبي في رواياته إلى نشر السلام في البلدان العربية، وقد يكون طموحه أن يتحقق السلام في العالم بشكل عام، ومن ذلك إشاراته للحربين العالميتين وما خلفته من خسائر بشرية ومادية.

التوصيات والمقترحات.

بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها يوصي الباحث ويقترح الآتي:

1- توسع الأبحاث الجامعية في تناول الرواية السعودية ومن ذلك روايات غازي القصيبي.
2- التوسع في الدراسات الأدبية والنقدية والاجتماعية في أعمال غازي القصيبي.
3- محاولة استنطاق نصوص القصيبي الروائية للوصول إلى تحليل عميق للوضع العربي.
4- زيادة العناية بالدراسات المجتمعية في الروايات السعودية.
5- العناية بأعمال غازي القصيبي الروائية لما تتسم به من عمق في الفكر.
6- قد يجد الدارس لأعمال القصيبي مادة جيدة في الجانب الثقافي حيث يتسم غازي بتوسعه في الجوانب الثقافية.
7- يتسم غازي القصيبي بعمق الفكر في رواياته، وقد يجد الباحث مادة خصبة للفكر في أعماله.

قائمة المراجع

أولاً- المراجع بالعربية:

- دار المشرق. (2001). المنجد في اللغة العربية المعاصرة. بيروت: دار المشرق.
- عمر دقاق. (1963). الاتجاه القومي في الشعر العربي المعاصر. حلب: مكتبة الشرق.
- غازي بن عبد الرحمن القصيبي. (1994). شقة الحرية. لندن: دار رياض الريس للكتب والنشر.
- غازي بن عبد الرحمن القصيبي. (2001). حكاية حب. بيروت، لندن: دار الساقي.
- غازي بن عبد الرحمن القصيبي. (2002). رجل جاء.. وذهب. بيروت: ، دار الساقي.
- غازي عبد الرحمن القصيبي. (1996). العصفورية. بيروت: دار الساقي للدراسات والنشر.
- غازي عبد الرحمن القصيبي. (2000). دنسكو: غازي بن عبد الرحمن القصيبي. بيروت: دار الساقي.
- غازي عبد الرحمن القصيبي. (2002). سلمى. بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر.
- غازي عبد الرحمن القصيبي. (2003). سعادة السفير. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- غازي عبد الرحمن القصيبي. (2010). ألزهايمر. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع.
- مجمع اللغة العربية. (1960). المعجم الوسيط. اسطنبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر.
- محمد ميكائيل بن نوشاد علي. (2017). شقة الحرية ومكانتها في الأدب العربي الحديث. أقلام الهند، صفحة 1